الظاهرة الفرعونية . . . رؤية قرآنية

م.د . حميد علي راضي الدهلكي

كلية الآداب جامعة الإمام الصادق

الكلمات المفتاحية: الفرعونية، العلو، الطاغوتية ، الظلم، الفساد، الاستبداد.

الملخص :

تضمنت هذه الدراسة البحث في الآي القرآني لاستخراج تسعة عنوانات رئيسة من منطوقها عن الصفات التي يتصف بها الفراعنة، وهناك عناوين اخرى يمكن استنباطها من مفهوم هذه الآيات، لتشكل هذه الصفات بمجموعها منظومة معرفية لصياغة نظرية عن الظاهرة الفرعونية وفق رؤية قرآنية، لما لهذه الظاهرة من صفات، وأسباب، وطرق لمواجهتها.

كما عنيت الدراسة ببحث الظاهرة الفرعونية باعتبارها ليست إسماً لشخص محدد بعينه عاش في بلاد مصر القديمة، وإنما هو لقب لسلسلة من الملوك حكمت تلك البلاد وما حولها، فيما امتد اليه سلطان أولئك المستكبرين، وصارت هذه الصفة عنواناً ملازماً لكل سلطان لا يحكم بما أنزل الله، ويستكبر على دعوة الهدى في امته، لما تمثله هذه الشخصية من عقلية سلوكية نرجسية كمنت بطبعها (جينات) التفرعن، والتي تتحول من القوة إلى الفعل عندما تتأتى ظروفها وتتلائم مناخاتها، فهي تكبر عند تقادم الإنسان في العمر، وتبدأ بالتضخم كلما ازدادت مصالحه، وميوله، ورغباته، في الاستحواذ على متطلبات الحياة والسلطة أهمها، من أجل البقاء ودوام الاستمرار، والسعي بشتى السُبل من اجل الحفاظ على مكتسباتها.

هذا وان الصفات الفرعونية عامة لا تختص بشخص بعينه، ولا بأسرة، ولا بمجموعة، ولا بحزب فقط، بل أصبحت شاملة لدولة ودول ومحاور، لتشكل فرعونية حديثة معاصرة، تشترك مع الفرعونية القديمة بعقليتها في النظرية، وتختلف معها في التطبيق كمّاً وكيفاً، لما تمتلكه من تقنيات حديثة، وثروة معلوماتية هائلة، وأسلحة دمار شاملة، فهي ليست كالفرعونية القديمة التي استعبدت العباد جسدياً فحسب، بل هي الآن لاستعبادهم واستعمارهم عقلياً من جانب، ونهب ثرواتهم وخيراتهم، ومصادرة تاريخهم وحضارتهم وهويتهم من جانب آخر.

لهذا تعد هذه الدراسة منطلقاً لرسم الخطط والمناهج لمقاومة الفرعونية الحديثة وتقليص انتشارها وهيمنتها ونفوذها، وقد أنبأنا الله تعالى ووعدنا بنصره، ووارثة أرضه، ليكون الإنسان العادل خليفته في أرضه، والمجسِّد لإرادته، ضد فراعنة زمانه وطواغيت عصره، من هنا جاءت

دراسة الظاهرة الفرعونية كرؤية قرآنية تستنطق القرآن لدراسة الماضي، ولتشخيص مشكلات الحاضر، ولاستشراف المستقبل.

المُقدِّمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين محمد وعلى آله وأصحابه المنتجبين، ومن اهتدى بهديه إلى قيام يوم الدين.

((إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ)). (سورة القصص، الآية : 4).

أما بعد ...

فإنَّ القرآن الكريم كتاب هداية للبشر، وفيه من المواعظ والعِبر، والتاريخ والسيَّر، والقصص وتتبع الأثر، ومن الغيب ما أستتر، فهو كتاب حياة، لا قصة حياة، وقد جاءت القصص فيه كواحدة من المفردات التي يهدف لها القرآن من أجل ابراز العِبر والأسرار، وتوضيح المسار، للوصول إلى مقاصد الهداية والتكامل البشري، ليجعل من الإنسان موضوعه ومادته ليرتقي به ليكون خليفة الله في أرضه، مجسِّداً عبوديته المطلقة، وطاعته التامة، ليكون أهلاً لحمل رسالته وأمانته التي أبت السموات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها، وحملها الإنسان لما له من استعداد فطري وكسبي لتحمل هذهِ المسؤولية الكبرى، وجاءت القصص القرآنية لتعبر عن مفاهيم وكليات وترسم مساراً لتطبيق ما أراده الله تعالى من أنبيائه بالتوجه نحو خالقهم ومعبودهم دون سواه من الآلهة، وللتأكيد على وحدانية الدين والعقائد، وإثبات الوحي، ومعاناة الأنبياء في سبيل تبليغ رسالاتهم، وما عانوه من عتاتهم ومعانديهم وفراعنتهم، الذين يتبجحون بعنادهم للإبقاء على جهلهم وضلالهم خوفاً على ضياع مصالحهم ومكتسباتهم إن قبلوا قول الحق بما فيه من حجج وبراهين فطرية حيناً وعقلية أُخرى، وليأتي القصص القرآني ليثبت في نهاية المطاف نصرة الله لأنبيائه ورسله ودعاته ومصلحيه، باعتبارهم يجسَّدون إرادة الله في أرضه، وقد وعدهم الله بنصرهم، ومحق أعدائهم من الكافرين والمعاندين والمشككين ومن سار بدربهم، ونهج بنهجهم، من هنا جاءت الفرعونية كظاهرة تكاد أن تكون كامنة في (جينات) الإنسان وطبعه، تتحول من القوة الكامنة إلى الفعل الظاهر عندما تتأتى ظروفها ومناخاتها، فهي تكبر مع تقادم الإنسان في العمر، وتبدأ بالتضخم كلما ازدادت مصالح الإنسان وميوله ورغباته في الاستحواذ على متطلبات الحياة من أجل البقاء ودوام الاستمرار، ويأتي دور الدين بشكل عام، والأخلاق بشكل خاص ليشكلا كوابح للحؤول دون طغيان هذه الظاهرة وانتشارها، لما تحمله من صفات التأليه، والعلو، والكبر، والطغيان، والظلم، والفساد، والاستبداد، والوهم، والإسراف، والمكر والخداع وغيرها.

هذا وإن الظاهرة الفرعونية تجاوزت حدود الزمان والمكان، لتعيش مع سلوك الإنسان وكوامنه، لتنمو وتستفحل معه عند طغيانه بما يملكه من مال وجاه وسلطان وقوة، يساعدها في ذلك استعداد الشعوب والأمم للقبول بظلم الظالم واستبداده وعلوه وكبرياته وسطوته، لتكون الشعوب هذه راضية بقدرها، مستضعفة ومقهورة رضيت بالذل والهوان، وأنست العبودية والاستعباد، ولم تواجه وتعارض وتقاوم، وقد أوكلها الله إلى نفسها، وسوف يحشرها مع من احبته، وهي شريكة لعمل من أحبّت؛ لأنّها ضيعت فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعندها سينتظرها قانون الغضب الإلهي، وسنته في إجتثاثها واستبدالها مع فرعونها الذي أحبته وانصاعت اليه، ليكونا عبرة للآخرين، ومادة للباحثين.

من هنا جاء بحثنا لدراسة الفرعونية كظاهرة قديمة الحدوث، وحديثة البقاء، ليأتي هذا البحث منسجماً مع معاناة الأمم مع قادتها وأمرائها على طور المسار الإنساني.

أهمية البحث :

تأتي أهمية دراسة الفرعونية كظاهرة، لما لها من اقتضاء البقاء، فهي مستمرة مع الإنسان ما دام يمتلك الرغبات والطموح والتطلع نحو الاستحواذ والسيطرة ويلازم ذلك نمو وتضخم الطغيان والتفرعن عنده، كلما ابتعد عن جادة الحق والهداية والعبودية لله وعن القيم الدينية والإنسانية.

وتأتي أهمية الدراسة أيضاً نظراً لتطور الفرعونية لتكون ظاهرة اجتماعية تعدت حدود الفرد، لتشمل الأسرة والعشيرة، والمجتمعات، والأحزاب والدول.

كما وتأتي أهمية الدراسة لما تشكله الفرعونية كظاهرة يمكن استنباط القوانين والسنن الإلهية والاجتماعية من خلالها، إذْ تمثل الفرعونية وحدة منهج ومسار ومآل، تشابهت فيها أساليب المواجهة والمجابهة مع دعاة الحق والمصلحين دوماً، وكيف تعهد الله تعالى بنصره لأنبيائه ورسله ومن سار بخطاهم ونهج نهجهم؛ لأنهم يجسِّدون أرادته في خلقه وأرضه، وإن هذا التدخل الإلهي نتيجة حتمية نستنتجها من هذه الدراسة القرآنية لنعرف كيف أن الله تعالى أهلك ملوكاً واستخلف آخرين، ليرينا آياته في حضارات سادت ثم بادت والفرعونية واحدة منها.

مشكلة البحث :

إن معظم الباحثين من المفسِّرين وغيرهم درسوا الظاهرة الفرعونية على طريقة التفسير التجزيئي لآيات القرآن الكريم، ودرسوا أحداث القصص القرآني ورجالاتها على نحو القضية الخارجية، بمعنى شخصنة الظاهرة الفرعونية بشخص فرعون المصري وسلالته، ودرسوا القضية على أنها جزء من التاريخ القديم في مكان وزمان محددين، ونظروا لفرعون كاسم علم لشخص. بينما امتاز بحثنا هذا بدراسة الفرعونية كظاهرة اجتماعية وهي جزء من سنن التاريخ وعلى نحو التفسير الموضوعي لآيات الكتاب الكريم، ودراسة القصص القرآني على نحو القضية

الحقيقية، أي بدراسة الفرعونية كعنوان وموضوع غير مؤطر بزمان ما ولا بمكان محدد، بل تتناول فرعون كصفة لا كشخص واسم محدد، وبهذا سوف تنطبق الصفات الفرعونية على كل شخص اتصف بصفات الفرعونية بغض النظر عن زمانه ومكانه، ما يجعل البحث متصفاً باقتضاء البقاء، رغم أنه قديم الحدوث، وبهذا يتسع البحث ليشمل الأشخاص والبلدان وتعاقب الزمان مع اختلاف الأديان.

أهداف البحث :

للبحث أهداف كثيرة منها :

أولاً : البحث في آيات القرآن الكريم لنستفهم عن استفسارات في مسار بحثنا وتفسيرنا الموضوعي لهذه الظاهرة، من أجل معرفة المنهج الفرعوني بما يتضمنه من خصائص، ومقومات، وأهداف، وغايات، واستخلاص التجارب.

ثانياً: استلهام الدروس والعبر من نتائج البحث لتضاف إلى تجارب أخرى لمفاعلتها وتكييفها مع مستجدات الحاضر ومتطلبات المستقبل.

ثالثاً : نتائج البحث تعطي أملاً ودعماً للعاملين المصلحين في دعواهم سواء كانت دينية أم إنسانية أم غيرها، بأنَّ الغلبة لهم، والنصر محتم في نهاية المطاف، وهذه سنة نستنبطها من هذا البحث القرآني.

رابعاً : مسار البحث ونتائجه تشكل مادة نظرية للباحثين لمن يريد الإثراء المعرفي وتطويره، من أجل صياغة نظرية متكاملة وموضوعية، يسهل تطبيقها.

الدراسات السابقة :

إنَّ الدراسات السابقة بحثت عن بعض مفردات الظاهرة الفرعونية كظلم فرعون، واستعباده، واستكباره وأمثال ذلك، ولم تبحث الفرعونية كظاهرة إنسانية قبل أن تكون دينية، وقد بحثها المفسرون بحثاً تجزيئياً. وبحثوا عن فرعون الذات والشخص، لا الموضوع والصفة والذي يتجاوز الذات ليصل إلى دائرة المجتمعات والدولة والدول، نعم هناك دراسات حديثة وهي في طور البداية كـ(المجتمع الفرعوني) للشهيد محمد باقر الصدر (قدس)، وهناك مقالات متناثرة تأخذ جانباً من توصيفات وصفات فرعون وأساليبه. ونحاول في هذا البحث المختصر إلى دراسة الظاهرة موضوعياً ودراسة جذورها وأسبابها ونتائجها وانعكاسها على الشعوب والأمم لاسيما والقرآن الكريم قد ذكرها أربع وسبعين مرة في مواضع مختلفة لأهميتها.

منهج البحث :

اعتمدت في بحثي هذا على استقراء وتجميع النصوص القرآنية وبحثها موضوعياً وقمت بتوصيف الظاهرة الفرعونية عبر عناوين مستلهمة من منطوق الآية وتحليل مداليلها، وبحثت

هذهِ العنوانات بشكل موجز لغوياً، واستعنت بكتب التفسير بشكل اساس، لأستنتج فهماً قرآنياً يعالج المشاكل الإنسانية من خلال أنسنة الدين، لما للإنسان من قيمة كبرى عند خالقه.

وقد تضمنت هذه الدراسة على ملخص، ومقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، ومصادر البحث.

المبحث الأول:التعريف بالظاهرة الفرعونية

ونبحث فيه المطالب الآتية :

المطلب الأول

أولاً : الظاهرة لغة واصطلاحاً :

أ- الظاهرة لغة :

الظاهرة كل أرض غليظة مشرفة كأنها على جبل، والظاهرة : العين الجاحظة[1].

ب- الظاهرة اصطلاحاً :

فهي امر غير مألوف انتشر في المجتمع بشكل مفاجئ وأصبح جزءاً منه، والظاهرة في الغالب ترتبط بالمجتمع والحياة الاجتماعية للأفراد فيقال ظاهرة اجتماعية، وقد تعد الظاهرة الاجتماعية مشكلة إذا كانت سلبية ويرفضها كل أبناء المجتمع وتؤثر على حياة كثيرين وتعرقل التقدم والتطور الاجتماعي والمعرفي لديهم، وتعبر عن تصرف جماعي يضم شريحة كبيرة من المجتمع ولا تنحصر بمجموعة صغيرة، أو عدد قليل من الأفراد، وأن يكون هناك شعور لدى الأفراد بضرورة التخلص من هذه الظاهرة بسبب الأذى الذي تسببه هذه الظاهرة[2].

ثانياً : فرعون لغة واصطلاحاً :

أ- فرعون لغة :

من (الفرعنّة) : الكبر والتجبر، وفرعون كل نبي ملك عصره، وكل عاتٍ فرعون، والعتاة الفراعنة، وقد تفرعن وهو ذو فرعنة أي دهاء وتكبر[3].

ب- فرعون اصطلاحاً :

عُرفت الفرعونية اصطلاحاً بتعاريف عدة منها :

1. الفرعونية: ليست اسماً لشخص محدد حكم بلاد مصر، وإنما لقب لسلسلة من الملوك حكمت تلك البلاد وما حولها، فيما امتد إليه سلطان اولئك المستكبرين، وصارت هذه الصفة عنواناً لكل سلطان لا يحكم بما أنزل الله ويستكبر على دعوة الهدى في أمته[4].
2. الفرعونية: ظاهرة وفعل يتجدد في كل زمان ومكان عندما تتوافر الظروف والأسباب للظالم المُستِخف، والجاهل الطائع المُستخَف وهي سنة الله في خلقه.

كباحث أقول: الفرعونية ظاهرة سلوكية، تعبَّر عن عقلية طبعية نرجسية، كامنة في (جينات) الإنسان، وتتحول من القوة إلى الفعل عندما تتأتى ظروفها وتتوافر مناخاتها، فهي تكبر وتتنامى عند تقادم الإنسان في العمر، وتبدأ بالتضخم كلما ازدادت مصالح الإنسان وميوله

ورغباته في الاستحواذ على متطلبات الحياة، من أجل بقائه، ودوام استمراره، ويأتي دور الدين بشكل عام، والأخلاق بشكل خاص، ليشكلا كوابح للحؤول دون طغيان هذهِ الظاهرة وانتشارها.

ونلاحظ أن النظام الفرعوني عبارة عن استبداد فرد، أو عائلة، أو عشيرة، أو حزب، أو طبقة من طبقات المجتمع، أو دولة، وتفرُّدها بالحكم، وبمقدرات المجتمع، واستحواذها على كلّ شؤونه وخيراته، والجدير بالذكر أن النظام الفرعوني كخط يوازي النظام الرسالي؛ إذْ إنَّ النظام الفرعوني كنظام اجتماعي منحرف يسوق المجتمعات والأمم نحو الانحدار، بعكس ما يقتضيه خط الرسالات الذي يريد انتشال الأمم والشعوب من الحضيض ليرفعها نحو السمو والرفعة والرقي الإنساني والحضاري، فهما (الخط الفرعوني والرسالي) خطان متوازيان متعاكسان في الاتجاه لا يلتقيان، واحدهما يمثل نسغاً نازلاً، والآخر صاعداً، والغلبة دوماً للخط الرسالي في نهاية المطاف، لأن الله تعالى تكفّل بنصره لرسله، ومن سار على خطهم ونهجهم وسلوكهم، كما قال تعالى : ((وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ))[5].

المطلب الثاني: فرعون في القصص القرآني

في بحثنا نركز على فرعون اللقب لا الشخص، ولهذا لم يسم القرآن اسماً شخصياً لفرعون، وهناك مؤرخون درسوا فرعون كشخص وقالوا أنه ينتسب إلى الأسر التي حكمت مصر منذ ثلاثة آلاف ومائة عام قبل الميلاد واستمرت حتى السيطرة الرومانية في القرن الأول قبل الميلاد، وكلمة "فرعون" قد تعني النبيل أو الشريف، أو السامي، وتميز فرعون مصر بسيطرة مطلقة وحرية كاملة في كل ما يتعلق بأمور الدولة، كما أنه كان قائداً للجيش، وتمادى بعض الفراعنة فأدعوا الألوهية، كما أن فرعون مصر –في ذلك الوقت- كان مالكاً لكل الأرض المصرية ومستعمرات الدولة بما فيها وما عليها، وكثيراً ما كانت سلطة فرعون الاستبدادية تؤجج ثورات داخلية قصيرة العمر ما تلبث أن تقمع بشدة وحزم[6].

وعند دراسة فرعون في القصص القرآني، نجد أنه ذكر أربع وسبعون مرة، لما يمثله هذا اللقب من أهمية في دراسة الأحداث وتعاقبها وتحليلها، ومعلوم أن القرآن ليس كتاباً قصصياً أو ما شابه ذلك، بل هو كتاب هداية، جاءت القصة فيه كجزء من أهدافه لبلوغ غاياته، ليستفيد الباحث من دراسته للقصص القرآني وفرعون منها:

1. أن الله تعالى يروم إلى تكرير اسم فرعون وما يرتبط به من أحداث لأجل الدراسة وأخذ الموعظة والعبرة.
2. لكي يستنتج الباحث من القصص القرآني على تحديد الثوابت، كوحدة الدين واختلاف الشرائع، قال تعالى : ((إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ))[7] وقال كذلك : ((وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ))[8].

3. التأكيد على وحدة العقيدة ووحدة المفاهيم.
4. وحدة مجابهة أساليب الأنبياء في دعواهم وتحدياتهم مع أقوامهم المعاندين.
5. بث روح الأمل للمصلحين من الأنبياء والرسل ومن سار بنهجهم واهتدى بهديهم بأن الله ناصرهم ولن يخلف الله وعده، ولن نجد لسنة الله تبديلاً ولا تحويلاً، بل إن الله يمكّن المستضعفين في نهاية المطاف بأن يجعلهم أئمة ووارثين لهذه الأرض من أجل إعمارها وإصلاحها، وهم يجسّدون إرادة الله في خلقه، وهكذا ندرس فرعون الظاهرة من القصص القرآني وكيف كانت عاقبته وعاقبة من استضعفه، لنأخذ الدروس والعبر لما تمثله هذه القصص من قيمة معرفية. قال الله تعالى : ((وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ))[9].

المبحث الثاني: السمات الفرعونية

هناك سمات وصفات اتصفت بها الشخصية الفرعونية نستنبطها من منطوق الآيات صراحة، وأخرى من مفهومها انتزاعاً، ونبحث هذه الصفات عبر مطالب:

المطلب الأول: العلو والإستعلاء

العلوّ : [العظمة والتجبر، يقال : علا فلان في الأرض إذا استكبر وطغى، وقوله تعالى : ((وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا))[10] معناه لتبغنّ ولتتعظمن. يقال لكل متجبر قد علا وتعظمّ][11].

ومن خلال المعنى اللغوي نلخص مداليل العلو على النحو الاتي :

1. أن العلو شعور بالعظمة، والقوة، والمنعة، مما يؤدي إلى الترفع والنظرة الفوقية لتوافر الامكانات والقدرات، وهذا العلو يؤدي بصاحبه المتفرعن شعوراً بالعظمة والتعملق، ليرى كل من تحته أقزاماً، لا يمكن لأحد منهم أن يمسه أو يطاله.
2. أن العلو من سمات الشخصية الفرعونية التي تحدث الله تعالى عنها في آيات عديدة، ومنها : ((وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ))[12] وقال تعالى : ((إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ))[13] وقال تعالى : ((وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ * مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ))[14].
3. إن صفة العلو هذه تجعل الشخصية الفرعونية متعالية، بحيث ترى نفسها فوق مستوى البشر، ومن لوازم هذه الصفة الطغيان، والبغي، والتفرعن، والظلم، والاعتداء، والتعاظم، والتكبر، والتجبر في الأرض، وأن هذه الصفة تجعل صاحبها متجاوزاً في حدودها بالظلم، والقهر، والعدوان، والافتخار بالنفس، وتضخم الذات، لتنسى وتنسلخ عن صفة العبودية لتدّعي الربوبية والتطاول على رب الأرباب، متهكمة ومترفعة عن عبادته[15].

4. ومن الملاحظ أن الاستكبار عند الشخصية الفرعونية (بعدم قبول الحق) يلازم العلو ويكون وسيلة ومقدمة له، للحصول على الامتيازات والإمكانات التي توافرها طريقة الحياة والمنهج الفرعوني المتبع، ونلاحظ كذلك أن ثمة عوامل تساعد على الاستكبار الفرعوني منها : (امتلاكه للقوة الاقتصادية، والعسكرية، والإعلامية، والبدنية، مضافاً إلى الجاه والسلطان وغيرها)، وإن هذه الأمور إن لم تقابل بشكر المنعم، فسوف يطغى صاحبها، ويستكبر ويتعالى، قال تعالى : ((كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى))[16] هذه الفرعونية الطاغية والكافرة بانعم الله، يزداد اعجابها بنفسها وتنتفخ ذاتها لإدعاء الربوبية والألهية، كما يحدثنا القرآن عنها : ((فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى))[17] ولم يكتف فرعون بادعائه الربوبية فحسب، بل زعم أنه (الرب الأعلى)، أي وضع نفسه أعلى مكانة من رب العزة جلا وعلا، ولذا جاء نصح موسى لفرعون : ((وَأَنْ لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ))[18].

5. وبهذا الزعم بإدعاء [العلو] يسرف فرعون الظاهرة في الإثم العقيدي، والسلوكي، ليشكل خطاً متضاداً بل مناقضاً لحظ الأنبياء الذي جاء لتخليص العباد والبلاد وتحريرهما من قمع فرعون وظلمه وأمثاله، والارتقاء بهما نحو الكمال والسمو ليعبّدوهم بالإله المطلق، شاكرين نعمه وسوابغه : ((وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ))[19]، بينما يريد الخط الفرعوني كما يصفه الله تعالى : ((وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ))[20]، وهو يشعر بالاستعلاء لتقزيم الآخرين وتحقيرهم، ولا يسمح لأحد أن يمسه أو يطاله، فهو بعيد عال وسامق بتخيله، وكل من يحاول أن يمس ذاته المقدسة المزعومة فهو معتد على الذات الإلهية الفرعونية، حتى وصل الاستعلاء بفرعون أن يطلب من رئيس وزرائه هامان أن يبني له صرحاً ليطلّع على إله موسى، متوهماً أو موهماً من يصدقه أنه يستطيع ذلك : ((وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ))[21].

6. إن هذا السلوك الاستعلائي قديم الحدوث، وحديث البقاء، متى ما تهيأت أسبابه المادية لشخص أو أشخاص أو جماعات أو دول تحمل عقداً نفسية وأفكاراً جاهلية واعجاباً بالذات المنتفخة تصل بصاحبها إلى أن يعبد ذاته : ((أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ))[22]. فكلما زاد إعجابه بذاته زاد تأليهه لنفسه حتى إذا توافرت الظروف كما توافرت لفرعون نصب نفسه إلهاً من دون الله، لتعويض شعوره بالنقص بمظاهر الاستعلاء والترفع وأنعكاس ذلك على شخصيته النرجسية وسلوكه المنحرف.

المطلب الثاني: الكبر والاستكبار

الكِبْر : بالكسر العظمة، وكذا (الكبرياء) مكسوراً ممدوداً[23]؛ والكبر : بالكسر، والكبرياء : العظمة والتجبر[24].

الاستكبار : الامتناع عن قبول الحق معاندة وتكبرا[25]، وهناك فوارق بين الاستضعاف والاستكبار، إذْ يراد من الأول : طلب الضعف فيما يعامل به صاحبه لأجله، والمراد من الثاني : طلب الكبر بغير حق، فكانوا يتعاظمون بالجهل الذي قد صمموا عليه وصاروا فيه رؤساء لتحققهم به[26].

من خلال هذه التعاريف اللغوية نرى أن هناك تلازماً بين الكبر والتكبر، إذْ أن الكبر صفة نفسانية تُوهم صاحبها بالنرجسية، بحيث يرى نفسه فوق الغير في صفات الكمال المختزنة في بواطن نفسه ادعاء، لتنعكس هذه الصفات كممارسات سلوكية متطاولاً بعنقه على الآخرين، بل على رب العالمين والعياذ به، لشعوره بداء العظمة الذي يمنعه عن قبول الحق معاندة وتكبراً. ومن خلال التعاريف وبيان معانيها نستنتج الآتي :

1. أن الشخصية الفرعونية، ومن هو على شاكلتها يحسبون أنفسهم كباراً فيظلمون الناس ويسحقونهم ويصادروا حرياتهم، ويسلبوا ارادتهم، ويغمطون حقوقهم، ويسِّطحون عقولهم، ويسفهون أحلامهم، ويستخفون بكل من حولهم، لا لشيء إلا أنهم يتمتعون بالقدرة والسطوة وتوافر الإمكانات والقدرات المختلفة لهم، وقد تطرق القرآن الكريم في العديد من آياته على حقيقة الاستكبار الفرعونية ومنها : ((وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ))[27]، وقال كذلك : ((ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ))[28].
2. الاستكبار الفرعوني يلازم عدم القبول بالحق وعدم الاعتراف ولا التسليم بالحجج والبراهين مهما كانت يقينية وظاهرة، لما تحمله هذه البراهين من أدلة تناغم العقل وتنسجم مع الفطرة السليمة، ولكن الجحود والاستكبار والتكبر الفرعوني تمنعه من أن يفتح نافذة الوعي والبصيرة والمعرفة لتغيير مسار تفكيره مهما كان هذا الدليل واضحاً ونوره ساطعاً، كما يقول الله تعالى : ((وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلآئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ إِلاَّ أَن يَشَاء اللّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ))[29].
3. إن الشخصية الفرعونية المستكبرة ومن تبعها بالعناد والجحود وصدهم وامتناعهم عن قبول الحق، لم يكتفوا بذلك لأنفسهم رغم البينات والدلائل طغياناً واستجابة لأهوائهم وشهواتهم ومصالحهم وامتيازاتهم، بل يسخرون من يتبع غيرهم، ويستخفون بعقولهم، وهذا هو ديدين المتفرعنين دوماً، وهذه هي فلسفتهم ونظرتهم للحياة فنرى الشخصية الفرعونية مع موسى وأخيه هارون (عليهما السلام) كيف تمتنع عن قبول الحق من جانب وتستهزئ

بهما من جانب آخر، كما يخبرنا الله تعالى بقوله : ((ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ* إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ * فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ * فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ))[30].

4. الشخصية الفرعونية الاستكبارية تمتاز بوحدة منهجها في مجابهة ومعاندة خط الرسالات ومن يمثلهم، إذْ نجد التشابه بالطريقة والمنطق والكيفية من قبل الفرعونية المتكبرة مع معارضيها، ونلاحظ أن عتاة قريش ممن يدعون وجاهة القبائل وسادتها في مكة والطائف وغيرها ممن يملكون المال ويتمتعون بالجاه والسلطان يقولون مستهزئين بنبي الإنسانية وقد عبَّر الله عن منطقهم بقوله : ((وَلَمَّا جَاءهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ * وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ))[31]، ويقصدون أن القرآن يليق بالنزول على واحد من سادة وعظماء قريش من مكة والطائف يتمتع بجاه وسلطان، وهذا المنطق والمسار الفرعوني يتجدد دوماً ازاء منطق ومسار الأنبياء، ولم يقتصر على نبي دون سواه، بل هو امتداد لمواجهة الفرعونية من لدن نوح (عليه السلام) إلى يومنا هذا، فالمنهج واحد، رغم تعاقب الأجيال، وتقادم الأزمنة، واختلاف الأمكنة، قال تعالى : ((فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قِوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ))[32]. إذْ نرى الأشراف يحتجون على نوح (عليه السلام) ويقولون له : (أنت آدمي مثلنا لا تفضلنا بشيء وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا، يعني الرذلة من الناس والسفلة بادي الرّأي، يعني بدا لنا أنهم سفلتنا، وما نرى عليكم من فضل في ملك ولا مال ولا شيء فنتبعك يا نوح، بل نظنك ونحسبك من الكاذبين)[33].

5. ان الشخصية الفرعونية الاستكبارية تستعين وتستفيد من البطانة والمقربين ممن يقدِّمون لها المشورة وتأخذ بآرائهم ما دامت تتماشى مع أهواء ورغبات وميول الشخصية المتكبرة والمكابرة، ونرى في الوقت نفسه كيف تنقلب هذه الشخصية الفرعونية بسبب استكبارها عندما تنجلي الحقيقة ويبان الحق ضد حاشيتها وبطانتها متهمة إياها بالتآمر والخيانة وحياكة المؤامرات وأمثال ذلك، وهذا ما نراه جلياً كمثال مع الشخصية الفرعونية المستكبرة مع سحرتها، وكيف ينقل القرآن الكريم الحوار بينهم. حيث جمع فرعون السحرة من المدن المختلفة، حاملين معهم ما تعلموه من فنون الصنعة، مع إيمانهم المسبق بآثار سحرهم وتأثيره في ساحة وساعة المواجهة، وهم على يقين بأنهم الغالبون، لهذا خيَّروا موسى وقالوا : ((إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى))[34]، وبعد أن ألقوا ما في أيديهم وسحروا أعين الناس واسترهبوهم، وجاءوا بسحر عظيم، وحتى موسى (عليه السلام) أوجس منهم خيفة وكاد يصدقهم، جاءه المدد الإلهي والذي تكفل بنصر خط الرسالات ومنهج الأنبياء والرسل فقال تعالى : ((فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ))[35]، وعندما بانت دلائل الصدق، وانجلت

الحقيقة، وظهر الحق لكل ذي عينين، ولكل قلب مهيأ لقبول الحق، ما كان من السحرة إلا السجود والإذعان قائلين : ((فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ))[36]، إذْ انهم تجاوزوا مرحلة الإسلام والإقرار باللسان، إلى مرحلة اليقين والإيمان بالجنان، مضافاً إلى أنهم قدموا الإيمان بالله ومن ثم الإيمان برسله كموسى وهارون، (يقولون : صدقنا بما جاءنا به موسى، وأن الذي علينا عبادته هو الذي يملك الجن والأنس وجميع الأشياء. وغير ذلك، ويدبر ذلك كله، رب موسى وهارون، لا فرعون) [37].

6. ان الشخصية الفرعونية المستكبرة تعلم ضعفها وعجزها بقرارة نفسها، ولكنها المكابرة والكبر، حيث نلاحظ : (أن كل الخلق كانوا عالمين بأن فرعون كان عبداً ذليلاً مهيناً عاجزاً وإلا لما احتاج إلى الاستعانة بالسحرة في دفع موسى (عليه السلام)، والآية السابقة تدل على أن السحرة ما كانوا قادرين على قلب الأعيان والا لما احتاجوا إلى طلب الأجر والمال من فرعون، لأنهم لو قدروا قلب الأعيان فلِمَ لم يقلبوا التراب ذهباً، ولِمَ لم ينقلوا ملك فرعون إلى أنفسهم، ولِمَ لم يجعلوا أنفسهم ملوك العالم ورؤساء الدنيا)[38].

ونلاحظ أن الشخصية الفرعونية رغم عجزها، ولكنها مصِّرة على كبرها وتكبرها ومكابرتها وتكذيبها للحق والحقيقة، مما دعا فرعون على الاعتراض على إيمان السحرة بقوله : ((قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ))[39] وفي آية أخرى : ((قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى))[40].

7. ونستفيد من سنة الله في خلقه حيث ينصر الله تعالى الأنبياء والمرسلين والمصلحين ومن سار بدربهم وانتهج نهجهم، قال تعالى : ((إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ))[41]، وفي الوقت نفسه يُخزي الله المستكبرين في هذه الدنيا ولهم في الآخرة عذاب مقيم، ليكونوا عبرة لغيرهم ودرساً للعبرة والتذكير لمن أراد أن يقارن بين الخط الرسالي والفرعوني، ولهذا قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ((لا يدخل الجنّة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر)) فقال رجل (يا رسول الله) إن الرجل يُحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة، قال : ((إن الله يُحب الجمال، الكِبر بطر الحقّ، وغمط الناس)) [42].
ويعلق النووي على شرح الحديث بقوله : (أي احتقارهم وازدراؤهم، وبطر الحق دفعه وأنكاره ترفعاً وتجبراً) [43].

8. إنّ الكبر والاستكبار يؤديان بالشخصية الفرعونية إلى ما نطلق عليه بالاستبداد والتفرد بالسلطة، وتسخير كل خيرات البلاد والعباد، وما أوتي من قوة لترسيخ دعائم حكمه واستمرار استبداده، فلا يعير المستبد هذا لشعبه وزناً، بل يعتبر نفسه وصيّا عليهم لعدم

اهليتهم بإدارة شؤونهم وانتخاب من يمثلهم، لأنّ الشخصية الفرعونية تختزل السلطات القضائية والتشريعية والتنفيذية كلها بيدها، وحتى المستشارين عنده، عليهم أن يفكروا بما يريده ويرتضيه ويرغب به، وعلى الرعية الطاعة والإذعان والانقياد، كيف لا، وقد أدعت الشخصية الفرعونية الربوبية والإلوهية ((فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى))[44]، ((وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي))[45]، ((قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ))[46].

المطلب الثالث: الطاغوتية والطغيان

طغو، طغي : الطغيان، والإسم الطَّغوَى، وكل شيءٍ يجاوز القدر فقد طغى مثل ما طغى الماء على قوم نوح، وكما طغت الصيحة على ثمود، والطاغية : الجبار العنيد، والطاغوت على أوجهٍ، وهي قوله تعالى : ((يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ[47]))[48]، طغى يطغى طغياناً، وكل متجاوز حدَّه فقد طغى، يطغى السيل : إذا جاء بماء كثير يتجاوز حدّ ما كان يجري فيه، وطغى البحر : إذا هاجت أمواجه، ورجل طاغية، الهاء للمبالغة[49].

ومن خلال هذه التعابير اللغوية نستنتج الاتي :

1. الطغيان والطاغوتية هي تجاوز الحد في كل الرذائل والمفاسد والمعتقدات، وإن المتفرعن الطاغي يتجاوز الحد حتى يدّعي الربوبية، ويستكبر ولم يتنازل للحق والحقيقة رغم مجيئه بكل الآيات والدلائل والبراهين : ((وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى))[50]، في حين تكفي آية وعلامة واحدة للتصديق، وما ذاك إلا لطغيان الشخصية الفرعونية، كيف وقد وصف الله تعالى هذه الشخصية بقوله : ((اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى))[51]، وقوله كذلك مخاطبا موسى وهارون (عليهما السلام) : ((اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى * قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى))[52]، فقد تجاوز الطغيان الفرعوني وتماديه الحد في التكبر والعتو والتجبر والتمرد وارتكاب المعاصي، فهو يُقتِّل ولا يقتل، ويُصلِّب ولا يصلب، ويُقطِّع ولا يقطع، بل يصل به الطغيان أن يُصلِّب أقرب المقربين كما فعل فرعون بسحرته رغم خدمتهم له في مشروعه الفرعوني طوال مسيرته، فصلَّبهم على جذوع النخل كما يحكي الله تعالى عن لسان فرعون : ((فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى))[53].

وقد عبّر القرآن الكريم أن الصلب في جذوع النخل، ونعني على جذعها، وأنما قيل : (في جذوع..) لأن المصلوب على الخشبة يرفع في طولها، ثم يصير عليها، فيقال : صُلب عليها[54].

إذْ يلاحظ أن أول من ابتكر أساليب التعذيب هذه وتفنن بها، من قطع الأيدي والأرجل من خلاف، والصلب على جذوع النخل هو فرعون، ليرسم للطاغين طريقاً ومنهجاً[55].

2. إن الطغيان مهما كانت درجة حدته وتجاوزه، فهو ينطلق من الذات المتضخمة التي تشعر بالاستغناء عن الغير، بسبب كثرة مالها، وتعاظم جاهها وسلطانها وقوة بدنها وبطشها وغيرها، وكلما ازداد مال الشخصية الفرعونية ازداد طغيانها، قال تعالى : ((كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى))[56].

3. إن الطغيان والطاغوتية متجذرة في النفس الطاغية وجوهرها، لكن رغم طغيانها المصطنع، وفسادها وإفسادها، وظلمها وتجبرها ... فهي مع كل هذا تشعر بعقدة النقص والصغر في الذات، لهذا فهي تحقد على كل من له قدرة وامكانات متنوعة، لتقف امامه وتحجم دوره بشتى الأساليب لإقصائه واجتثاثه خوفاً منه على مصالحها ومستقبل وجودها منه.

4. ونلاحظ كذلك أن الشخصية الفرعونية مهما تنامت وتضخمت فهي صغيرة بنظر رعيتها، مما يحدو بهذه الرعية أن تسعى جاهدة وبشتى الأساليب للتربص بهذا الطغيان واضعافه وإزالته، وبسبب تصادم الرعية مع طواغيتها الذين يستغلون ويسيطرون على مقدرات البلاد والعباد، نلاحظ أن الرعية مقابل هذا يضعف عندها حب الانتماء لأرضها وتراثها ووطنها، لأنها تشعر أن كل هذه الامكانات والقدرات هي ملك للطغاة كما يدعي الطغاة ذلك بأنفسهم، ((أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ))[57].

وبهذه الفلسفة الطاغوتية التي تنعدم بها العلاقات الاجتماعية والتي تعيش بها الرعية غريبة في أرضها وتحمل أضغاناً وأحقاداً وبغضاء إزاء طغيان جبابرتها، وتبقى الأمة تعيش ردة الفعل لتنتقم من فراعنتها الذين أساموها أشد العذاب، لتنتفض هذه الأمة لاستعادة ارادتها المسلوبة ولتعويض حقوقها المنهوبة، وتسترد كرامتها المهدورة، وهذا درس اجتماعي بليغ نستنتجه من دراسة السنن الاجتماعية وكيفية مقاومة ومقارعة الطغاة والفراعنة؛ ولأن الغلبة للمستضعفين في نهاية المسار، وهو وعد إلهي لهم، فما عليهم إلا المقاومة أو يصحح الفراعنة أساليب طغيانهم وتفرعنهم، وإلا فإرادة الله أولاً والشعوب ثانياً هي الغالبة.

المطلب الرابع: الظلم والجور

الظلم : وضع الشيء في غير وضعه[58].

الظلم : مصدر ظلمتُه أظلمِه ظلْماً، والظُّلْم، بالضَّمِّ الإسم، وأصل الظُّلم (وضعُك الشيءَ في غير موضعِه، ثم كثر حتّى سُمي كل عَسْف ظلما)[59].

جور : الجور : نقيض العدل، وقومٌ جارةٌ وجَورَة، أي : ظلمة، والجور : ترك القصد في السيِّر والفعل منه : جار يجور[60].

ومن خلال هذه التعريفات نستنتج الاتي :

1. أن الشخصية الفرعونية والتي تمادت بظلمها وجورها قد وضعت نفسها في غير موضعها حين ادعت الربوبية والإلهية، ومنهما تترشح أنواع المظالم، بما ينسجم مع تصور

الشخصية الفرعونية وسلوكها ومنهجها وطريقة تفكيرها، قال تعالى : ((ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُواْ بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ))[61]، وقال تعالى : ((وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ))[62]، وقال تعالى : ((فَلَمَّا جَاءتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ * وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا))[63].

2. هناك تلازم بين الظلم والكفر، إذْ كلاهما وضع الشيء في غير موضعه[64]، إذْ نلاحظ أن الشخصية الفرعونية ومن تبعها ظلموا بآيات الله ، أي كفروا بها، والغريب في هذه الشخصية بظلمها وجورها وتماديها، أنه كلما تنوعت الآيات والدلائل وتعددت وتمظهرت بأشكال جديدة، كلما تعاظم ظلم وكفر وجور فرعون فيها، وبالغ في الاستهزاء والتصدي لها، ولو تكاثرت الآيات التسعة لدى موسى (عليه السلام) أضعافها على فرعون وملئه لازدادوا كفراً وظلماً وجحوداً، لأن الله طبع على قلوبهم بسبب كفرهم فلم تستطع الآيات والدلائل من فتح مغاليق هذه القلوب التي لم يبق فيها مجال لقبول النور الإلهي والتسليم بآياته والتصديق بالحق والحقيقة[65].

وهذا الظلم يحمل صاحبه للجحود مهما كانت الآيات واضحة، والدلالات بيّنة، والله يقول : ((وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ))[66].

3. إن الشخصية الفرعونية تنوعت وتفننت بظلمها، فمن جهة هي ظالمة بنفسها، لأنها عرفت الحق وعاندته وجحدته وهذا ظلم عظيم، ومن جهة ثانية هي ظالمة للآخرين لسوقهم واجبارهم وإكراههم بالسير على نهجها وسلوكها باستخدام شتى الوسائل، واتباع مختلف السبل لحجب الحق والحقيقة من أن تصلا للآخرين. بل وتسعى الشخصية الفرعونية إلى قلب الحقائق وتشويهها وبذل الجهد والمال والكذب والتضليل المبرمج من أجل طمس الحقيقة واضاعتها لكي لا تصل إلى العامة، لأن الشخصية الفرعونية تعيش اضطراباً نفسياً وهزيمة داخلية، وحياة يسودها القلق والخوف والهواجس والعبثية والحزن والشقاء في الحياة الدنيا، إضافة إلى ما ينتظرها من عذاب أبدي في الآخرة، قال تعالى : ((وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ * مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء))[67].

4. ونلاحظ كذلك ما تقوم به الشخصية الفرعونية دوماً من ظلم لغيرها بحجبها عن نور الهداية والرحمة، فتأذي الغير بسلبهم أمنهم، وتعريضهم للفتنة كي يتركوا ايمانهم والا فتصادر حرياتهم، وتسحق اراداتهم، وتسلب أموالهم، وتقتل أبناءهم وتنهب أموالهم وممتلكاتهم، وتستعبد رجالهم ... هذا وان الشخصية الفرعونية لم تترك جريمة إلاَّ وارتكبتها وتتبجح بابتكار أحدث الأساليب والتقنيات لتحقيق مآربها وخدمة مصالحها، قال تعالى : ((قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى))[68]، وقال تعالى : ((فَلَمَّا جَاءهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا

قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاء الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ))[69]، وقد قيل من أجل استعادة التوازن الاجتماعي وتحقيق العدل المجتمعي : (العلة المانعة من الظلم عقل زاجر، أو دين حاجز، أو سلطان رادع، وعجز صاد) [70]، فإنَّ لم تتوافر هذه العلل وغيرها يزداد الفراعنة ظلماً وجوراً.

المطلب الخامس: الفساد والإفساد

الفساد : نقيض الصلاح[71].

والصلاح : نقيض الفساد، والإصلاح نقيض الإفساد، ورجل صالح : مصلح، والصالح في نفسه والمصلح في أعماله وأموره[72]..

الفساد : نقيض الصلاح، فَسَدَ يَفْسُدُ ويفْسِدُ فساداً أو فسوداً، فهو فاسد[73].

الإفساد : هو جعل الشيء فاسداً خارجاً عمَّا ينبغي أن يكون عليه وعن كونه منتفعاً به، وفي الحقيقة هو إخراج الشيء عن حالة محمودة لا لغرض صحيح، ولا يوجد ذلك في فعل الله؛ وما تراه في فعله تعالى فَسَاداً فهو بالإضافة إلينا، وأما بالنظر إليه فكله صلاح، ولهذا قال بعض الحكماء : يامن إفساده صلاح[74].

ومن خلال التعريفات المذكورة نستنتج الآتي :

1. إن الفساد خلل يطرأ على الأشياء فيمنع الاستفادة منها، ويحيلها إلى وضع تستحيل معه المنفعة، فيتحول العدل جوراً، والإصلاح فساداً، والأمن خوفاً، والسكينة اضطراباً، وينحرف مسار الحياة عن غايته التي أرادها الله تعالى للإنسان ليكون خليفة في الأرض وأميناً على إصلاحها وإعمارها.

وإن الفساد لازم الشخصية الفرعونية، وهو نتيجة حتمية لمن أدّعى الربوبية وتأله وتجبّر وظلم وطغى، ومن هنا لم تكن الشخصية الفرعونية مفسدة فحسب، بل هي كثيرة الإفساد بالجور والأذى[75].

2. إن الفساد يتناسب طردياً مع ظلم وطغيان الحاكم أو المتصدي، لاسيما واستمرار فترة بقائه في مركزه وسلطانه، مضافاً إلى انحراف نهجه ومتبنياته والتي تطَّرد أيضاً مع ظلمه، ففساد عقيدة الشخصية الفرعونية كمنهج أخطر من فساد تشريعاته كتطبيق، إذْ نلاحظ : (إن الفساد يصيب تصورات الناس كما يصيب حياتهم الاجتماعية حين يكونون أرباباً متفرقين يتحكمون في رقاب العباد من دون الله، وما صلحت الأرض قط ولا استقامت حياة الناس، إلا يوم أن كانت عبوديتهم لله وحده – عقيدة وعبادة وشريعة – وما تحرر الإنسان قط الا في ظلال الربوبية لله وحده، ثم يقول الله سبحانه عن فرعون وملئه : ((فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ))[76]، وكل طاغوت يُخضع العباد بشريعة من عنده، وينبذ شريعة الله، فهو من المفسدين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون) [77].

3. إن خطورة الفساد تكمن عندما يكون الظلم ظاهرة منتشرة في كل مرافق الحياة، وتأتي خطورة الفساد حينئذ عندما تستسلم الأمة لهذا الظلم وتقتنع بقدرها ومصيرها، فتتحول إلى أمة مخدرة يتلاعب بمصيرها ومقدراتها حفنة من الفاسدين والمفسدين، وسيكون الفساد نتيجة حتمية يعصف بالأمة إن رضيت بظلم ظالم واستمرأت فساده، ولم تكن أمة أبيّة للظلم مقاومة للفاسدين وستخضع لنهج فرعون المعبّر عنه قرآنياً : ((إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ))[78].

4. إن الفساد الفرعوني الملازم للظلم لم يقتصر على شكل واحد، بل تعددت أشكاله، وتنوعت أساليبه، واتسعت شموليته، ليضرب مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعقدية مقترناً هذا الفساد بآلة الظلم والقهر والتي تأخذ هي الأخرى أشكالاً تتراوح بين الترغيب والترهيب من أجل استمرار المنهج الفرعوني وإدامة بقائه، قال تعالى : ((قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَن آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلاَفٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ))[79]، وهناك أسلوب آخر لا يقل خطورة عن الأول وهو تغليف المفاهيم الباطلة بلباس الحق، لتمريرها على الهمج الرعاع وذوي العقول البسيطة الساذجة، والانكى من هذا هو ادعاء الاصلاح من أدعياء الاصلاح وهم الفساد بعينه : ((وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ))[80]. ولم يكتفِ مدعي الاصلاح بادعائه الاصلاح فحسب بل يعتبر نفسه من رواد الاصلاح الذين يحكمون بالحكمة والرشاد، وقال تعالى عن لسانهم : ((مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ))[81]، والغريب في الأمر أن الأمة الساذجة تصدق دعوى وأقوال هؤلاء الأدعياء رغم استخفاف عقولهم من قبله وتسطيح وعيهم، ((فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ))[82].

المطلب السادس: الاستبداد والانفراد

الاستبداد : وهو إفتعال من الأمر كأن نفسه أمرته فائتمر أي امتثل، أي لا يأتي برشد من قبل نفسه ولا يقبل قول غيره[83].

يقال : [استبد بالأمر يستبد به استبداداً، إذا تفرد به دون غيره وفي حديث علي رضي الله عنه ((كُنَّا نرى أن لنا في هذا الأمر فاستبددتم علينا)) [84]][85].

يقال : استبد بالأمر يستبدُّ به دون غيره، واستبد برأيه : انفرد به[86].

الاستبداد : الإنفراد بالرأي من غير مشورة Arbitrariness[87].

إن الاستبداد من لوازم الألوهية والربوبية في الشخصية الفرعونية، فمن نصب نفسه إلهاً بزعمه لا يُسأل عمّا يفعل وهم يسألون! وهذا يعني مصادرة الآخر وتعطيل عقله وحريته وارادته، واستغلال استبداده المطلق لقهر الآخرين وسحقهم، وبهذه العقلية الفرعونية الاستبدادية

ستعيش الأمم والشعوب بين (فرعون قائم، وفرعون قادم)؛ لأن الشخصية الفرعونية مسرفة ومتطرفة في استبدادها مما سينعكس هذا في إثمها العقيدي والسلوكي بإرهاب من تتسلط على رقابهم، وبسبب اصرارها وتفردها تعتبر نفسها هي المقياس والمعيار الذي تقاس به الأشياء، وهي التي تحدد الصواب والخطأ، ولهذا تستغرب الشخصية الفرعونية من أن يتبنى مجتمع ما رأياً غير رأيها، أو معتقداً غير معتقدها، وستنتفض بعنف وقسوة إن حصل ذلك أمامها أو علمت به، وهذا ما نراه عندما استشاط فرعون غضباً بعد أن خاطب الذين اتبعوا موسى (عليه السلام) قائلاً : ((آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَن آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ))[88].

(أي انتظروا ما أفعل بكم، وما تلقون من عقابي إياكم على صنيعكم هذا)[89]، بهذه العقلية الاستبدادية والانفراد بالرأي يواجه فرعون معارضيه ومن هم على شاكلته ولسان حاله يقول : نحن لم نتبنَ رؤيتكم فكيف تقبلوها قبل أن نأذن لكم؟ بل، ليس لكم أن تفكروا، نحن من يفكر عنكم، فإعمال العقل والفطرة من شأننا نحن، لأنكم لا تميزون بين الصالح والطالح، وما ينفعكم أو يضركم، لهذا قبول دعوة المصلحين يعدُّ تمردّاً على النظام الفرعوني، ولا بُد أن يقمع بعنف وقوة، وهكذا يمارس الخط الفرعوني الإرهاب الفكري وأسلوب التشويه للفكر المضاد قائلاً : ((إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ))[90].

وهكذا يتحكم منطق القوة على قوة المنطق، لتأتي مفردات السيف والجلاد والسجّان والجلاوزة وأمثالها لتعكس مبتغى الشخصية الفرعونية في أقوالها وأفعالها وسلوكها، وما تدعيه من ربوبية وألوهية مزعومة لإرغام الناس وسوقهم إلى الانصياع التام لما تدعيه الشخصية الفرعونية التي لا تقبل الحجة والبرهان من معارضيها ومخالفيها، لتستبدل المحاجة والحوار معهم بلغة القهر والتجبر والتهديد والوعيد بقوله : ((لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ))[91]، أي : (لأجعلنك ممن عرفت أحوالهم في سجوني حيث يطرحهم في هوة عميقة، حتى يموت نازليها، ويكون صاحبها نسياً منسياً، ولذلك لم يقل فرعون لأسجننك بل قال من المسجونين، لما تعاهد من سجونه المعهودة والتي ينتشر فيها الرعب والقتل والتعذيب والانتهاك وما شاكل ذلك، ولا يخرج من ألقي فيها حتى يذوق الموت الزؤام ليكون عبرة لغيره) [92].

ومن علائم الاستبداد والانفراد نوجز الآتي:

1. إن الشخصية الفرعونية الاستبدادية تسمي البلاد والعباد باسمها، فهي البلاد، والبلاد هي، ولهذا تريد من الشعب أن يتناغم بل يتطابق تمام المطابقة مع معتقدات ومتبنيات الشخصية الفرعونية وتوجهاتها، ((وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ))[93].

2. من افرازات الشخصية الفرعونية الاستبدادية ابتلاء الأمة وفتنتها من عذاب فرعون وبطشه، مما يجعل الأمة تنساق خلف سياسته وحماقاته وهي مكرهة على ذلك، وهذا ما يدعو قلة أنصار الحقيقة ومناصريها، حتى وصل الأمر أن الذين أمنوا من أتباع موسى (عليه السلام)، وغيره من الأنبياء والمرسلين والمصلحين أنهم اعداد قليلون، يخافون أن يتخطفهم الموت : ((فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ))[94].

3. وبسبب استبداد الشخصية الفرعونية يضطر المعارضون لها إلى إنشاء وتأسيس الحركات السرية حفاظاً على إيمان منتسبيها، وإن كتمان الإيمان هذا يكون فردياً مرة وجماعياً أُخرى، وهذا ما حدث لكتمان إيمان زوج فرعون آسية بنت مزاحم، ومؤمن آل فرعون، وأصحاب الكهف، وغيرهم كثير، ((وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ))[95]، (أي يسر إيمانه من فرعون وقومه خوفاً على نفسه) [96]، وحيثما يوجد الاستبداد توجد الحركات السرية المناهضة له، وهذه سنة اجتماعية عمل بها من كان قبل نبينا الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومن جاء بعده، كوسيلة للحفاظ على الهوية وغريزة الانتماء للحق ومناصريه، ويصل الأمر بتشديد الخناق بسبب الاستبداد الفرعوني بلجوء المعارضين إلى العمل السري بأن يتخذ الناس بيوتهم قبلة لصلاتهم وأذكارهم، يقول تعالى : ((وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ))[97].

وكذا الحال عند المسلمين الأوائل في مكة المكرمة، وهكذا بقية الحركات المعارضة على طول مسار الخط الإنساني.

4. ومن تبعات الاستبداد الفرعوني إكراه الناس وقتل روح الإبداع والمبادرة عندهم، لأنهم يعيشون غرباء في أوطانهم وبلدانهم، ولا علاقة حقيقية تربطهم بأنظمتهم، وانعدام الثقة من الأمة بحكامها المستبدين الذين اعتمدوا على سياسة القمع والإكراه والتي تتصادم مع تطلعات الأمة وحرياتها وأرادتها في اختيار وانتخاب من يمثلها ويحقق أمانيها وتقرير مصيرها، لتكون الشورى بدل التفرد والاستبداد، والحوار والمشاورة والرأي الآخر في اتخاذ القرار بدل مصادرة الحريات والإرهاب الفكري، ليتسنى للأمة من اختيار حاكمها القوي والأمين والعادل والحافظ لحقوقها ليقابلوه بالتزامهم بواجباتهم بكل نزاهة وإخلاص إزاء ذلك : ((إن الاستبداد السياسي – الذي نعانيه- ليس عصياناً جزئياً لتعاليم الإسلام، وليس إماتة لشرائع فرعية فيه، بل هو إفلات من ربقته ودمار على عقيدته..! فبقاء الكفر في الأرض، والزيغ في شتى الأفئدة، يرجع إلى مسالك أولئك الذين شانوا تأريخنا ولوثوا دعوتنا، وأعزَّوا من أذل الله، وأذَّلوا من أعزَّ الله، إن الاستبداد صنع هذه الأوضاع وحماها، وقبر تحت ترابها الأخوة الإنسانية والدينية، فليس ثمّ فرد يرّغب

ويرهب وآخرون يزدلفون ويرتقبون، ومراسم غريبة لوثنيات سياسية أعقد من الوثنيات التي أختلقتها الجاهليات الأولى) [98].

وخلاصة القول : أن العقلية الفرعونية الاستبدادية هدفها أسر العقول، واستعباد النفوس، وتحويل الشعوب إلى قطيع يُساق، وعصا توجهه، وفرعون يسخر، وحاشية تتزلف، وحريات تصادر، وكرامات تهدر، وحقوق تسلب، وأموال تنهب، وماذا ننتظر من أمة هذا واقعها؟!

المطلب السابع: الوهم والغرور

الوهم : من خطرات القلب، والجمع أوهام، وتوهم الشيء: تخيله وتمثله، كان في الوجود أو لم يكن، ووهم إليه يَهِمُ وَهْمَاً : ذهب وهمُه إليه[99].

الغرور: [ما اغتر به من متاع الدنيا، وفي التنزيل : ((فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا))[100]] [101].

فالغرور : (سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل اليه الطبع، وعبّر عنه بعضهم بأنه كل ما يعز الإنسان من مال وجاه وسلطان، وفسّر بالدنيا لأنها تغر وتمر وتضر) [102].

ومن خلال التعاريف نوضح الاتي :

1. إن الشخصية الفرعونية واهمة ومغرورة، إذْ اغترت بما تملكه بتصورها من زخرف الدنيا الخداعة، وما حصلت عليه من جاه وسلطان وقوة وصحة في البدن، وقوة عسكرية وأمنية، ودعم من القوم والآل، ومؤازرة الملك وامتداده وطول المكث في الحكم، والتحكم برقاب الناس، وتهيأت لها كل متع الدنيا وزخارفها، وساعدها على ذلك انتشار السحر والشعوذة والأساطير التي أوهمتها بالألوهية والربوبية، كل ذلك وغيره جعلها شخصية مغرورة متوهمة ونرجسية متخيلة البقاء في الدنيا والخلود في الآخرة.

هذا وأن الشخصية الفرعونية تتجاهل بسبب وهمها وغرورها، بأن الدنيا هي مستودع ومعبر، وأن الآخرة هي دار القرار والمستقر، قال تعالى: ((وَهُوَ الَّذِيَ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ))[103].

2. إن الله تعالى ينبه العباد كلهم والشخصية الفرعونية منهم إلى منبه وجداني يحكي عن قضية حقيقية ويرشد العقل الإنساني أن يقرأ بيئته ومحيطه ورجالاته وحضاراته، وكيف أصبحت البيوت أطلالاً، والرجال عظاماً نخرة، والحضارات تاريخاً وكتاباً مفتوحاً لمن أراد أن يقرأ ويطلع ويتعظ، ولكن الشخصية الفرعونية تكابر في وهمها وغرورها، ولا تريد الرجوع إلى رشدها، ونرى في القرآن الكريم مواضع تحكي الغرور والوهم الفرعوني ومنها :

أ. ما حكاه القرآن الكريم عن لسان فرعون حين أعلن السحرة إيمانهم برب هارون وموسى، وتصديق دعواهما، وكيف انتفض فرعون عليهم وأبدى تعجبه لغروره ووهمه قائلاً : ((آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَن آذَنَ لَكُمْ))[104]. ظاناً ومتوهماً أن قلوب الناس بيده ويملك حتى إيمانهم، ولذا اعترض بتعجب، (أي صدقتموه قبل أن آذن لكم في الإيمان، فتعديتم وفعلتم ما لم آمركم به،

وكان ينبغي أن تستأذوني فيما فعلتم ولا تفتأتوا على ذلك، فإن أذنت لكم فعلتم، وإن منعتكم أمتنعتم، فإني أنا الحاكم المطاع) [105].

ب. وهناك منبه ثان يوخز ضمير فرعون ووجدانه، ولكنه لم يرعوِ بسبب غروره ووهمه وطيشه، وهو وجود زوجته آسية بنت مزاحم التي عاشت القصور والترف، وهي توخز بإيمانها فرعون علَّه يتنبه من غفلته ووهمه وغروره، قال تعالى : ((وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ))[106]، ولكن فرعون بغروره وطيشه قتل رفيقة دربه أبشع قتلة لأنها آمنت بالله من دون أن يأذن لها فرعون بذلك.

ج. ويزداد الطيش الفرعوني وغروره كما يحكي القرآن عن ذلك : ((مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ))[107].

هذه نماذج من اللغة الفرعونية المتخومة بالوهم والغرور، ولسانها : (أن كل ما يقوله ويفعله صواباً وحقاً لا نقاش فيه)، وهي لغة عامة لكل المستبدين والمتفرعنين في كل زمان ومكان، وهنا يأتي المنبه الإلهي لتصحيح المسار، قائلاً : ((وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى))[108]، فقول فرعون ليس سبيل للرشاد، بل هو طريق للضلال والإضلال.

وهناك العديد من المنبهات الأخرى يذكرها الله تعالى في كتابه ولكنها لم تؤثر ولم توخز ضمير فرعون لتماديه بغروره ووهمه لما يمتلكه من قوة ظاهرة بين يديه ومن جند وملأ وبطانة مزيفة ورجال دين حوله موحين إليه كذباً وزوراً بأنه الإله والربُّ الأعلى، وكل ذلك يجعل دائرة الوهم الفرعونية تتسع ليطبع الله على قلبه ليختم عليه ويغشاه ويمنعه ألطافه ويجعل فيه الجهل والجفاء والقسوة، ويصبح أعمى البصر والبصيرة، ولم يستطع ادراك الحقائق الكبرى التي جرت بين يديه وأمام ناظريه، ولكن غروره ووهمه يخيل إليه أن ما يشاهده ليس حقيقة بل وهماً يضاف إلى وهمه الأول ليزداد طيشاً وغروراً.

المطلب الثامن: الإسراف والتبذير

سرف: الإسراف، نقيض الاقتصاد[109].

سرف : السرف : مجاوزة الحد[110].

سرف لغة : السرَّف والإسراف : مجاوزة القصد، وأسرف في ماله : عَجَل من غير قصد، وأما السَّرف الذي نهى الله عنه، فهو ما أُنفق في غير طاعة الله، قليلاً كان أو كثيراً، والإسراف في النفقة : التبذير[111].

التبذير : [إنفاق المال في المعاصي، وقيل : هو : أن يبسط يده في إنفاقه حتى لا يبقى منه ما يقتاته، واعتباره بقوله –عز وجل- ((وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا))[112]] [113].

وهناك من فرق بين التبذير والإسراف، وقال : التبذير إنفاق المال فيما لا ينبغي، والإسراف : صرفه زيادة على ما ينبغي، وبعبارة أخرى، الإسراف : تجاوز الحد في صرف المال، والتبذير : صرف المال في غير مصارفه المعروفة عند العقلاء[114].

وقالوا : الإسراف : هو الاستكثار من المعاصي، فليس هو يقتل فحسب، إنما يتعدى ذلك إلى معاصٍ عديدة أخرى، كالإذلال، وأخذ أموال الناس بالباطل وغيرها من المعاصي[115].

أن صفة الإسراف الملازمة للشخصية الفرعونية وردت في الكثير من آيات القرآن، منها قوله تعالى : ((وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ))[116]، وقال تعالى : ((لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ))[117]، وقوله تعالى : ((وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ * مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ))[118].

إن الإسراف في الشخصية الفرعونية يتمظهر بأشكال منها:

1. اسراف في القتل والتقتيل، واسراف في الصلب والتعذيب، وإسراف في تنوع العقوبات كمّاً وكيفاً، واسراف في الاسترقاق بما في ذلك اسباط الأنبياء، واسراف في الكفر، وجحود بالله والإيمان به، وقد تجاوزت الشخصية الفرعونية الحدود في كل ذلك.
2. الشخصية الفرعونية مسرفة في المعصية، إن ارتكاب المعصية واشباع الشهوة والغريزة حرام بلا إشكال، بينما الإسراف بها والإيغال فيها جريمة، وأن الشخصية الفرعونية التي ماتت روحها وأحاسيسها، وهي تمارس قصارى جهدها من أجل الانتقام وتفريغ الإحن والأحقاد، ويتعاظم غيّها بحيث أنها تتمتع بآلام الآخرين وترقص على عذاباتهم وجراحهم، وتسرف في ذلك كله، لا نتوقع منها الإصلاح ولا الصلاح : ((وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ))[119].
3. الشخصية الفرعونية مسرفة في صرف الأموال وتبذيرها، وتبديد الطاقات، وبعثرة الجهود، فهي وبطانتها تعيش حالة الإشباع والتخمة في كل شيء، وهناك أمة تعرى، وشعب يجوع، وهناك من لم يجد طعاماً يأكله، أو مسكناً يؤويه، أو عملاً يسعفه على شظف العيش، ومكائد الدهر، فهناك أمة مسحوقة، معدمة، منهوبة حقوقها، مستعبدة، أمام طيش وإسراف فرعون وزبانيته، مما يخلق حالة من الانقسام الطبقي، واختلال التوازن الاجتماعي الذي ينذر بممارسة الجريمة والانتقام بسبب فقره وحاجته والحيف الواقع عليه، كل هذا بسبب إسراف الطبقة الحاكمة والمسرفة في خيرات البلاد والناهبة لعوائد العباد.

المطلب التاسع: المكر والكيد

مكر : المَكْرُ : احتيال [في خفية]، والمَكْرُ : إحتيال بغير ما يضمر، والاحتيال بغير ما يبدي هو الكيد، والكيد في الحرب حلال، والمكر في كل حال حرام[120].

وهناك مائز بين المكر والكيد يذكره علماء اللغة بفوارقهم اللغوية، إذْ يعرفون الكيد : بأنه إرادة مضرة الغير خفية، وهو من الخلق : الحيلة السيئة، ومن الله : التدبير بالحق لمجازاة أعمال الخلق[121]، والمكر: من جانب الحق تعالى : هو إرداف النعم مع المخالفة، ولإبقاء الحال مع سوء الأدب، وإظهار الكرامات من غير جهد، ومن جانب العبد : إيصال المكروه إلى الإنسان من حيث لا يشعر[122].

إن المكر والخديعة صفتان ملازمتان للشخصية الفرعونية بإدعائها الألوهية والربوبية، لكي تحتال وتخادع وتزور الحقائق وتسوق أكاذيبها وأباطيلها على المخدوعين والمضللين الذين تنطلي عليهم لعب وخدع وأباطيل الشخصية الفرعونية. وإن أسلوب الخداع والمكر يعود إلى :

1. إن الشخصية الفرعونية (ميكافيلية)، تبرر الوسيلة للوصول إلى أهدافها وغاياتها الخسيسة، يقول تعالى : ((إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ))[123]، حيث نلاحظ أن الشخصية الفرعونية لكي تصل إلى غايتها بالعلو والسيطرة على الناس، كان لا بد من قهرهم وإذلالهم باستعمال أساليب شتى ومنها : (أن يجعل أهلها شيعاً)، وهي نفس سياسة "فرّق تسد" في عالمنا اليوم، حيث تباشر السياسة الفرعونية إلى تقسيم الأمم والشعوب إلى فرق وطوائف وطبقات دينية ومذهبية وعرقية، وتستخدم لغة التفرقة والتمييز بين هذه الشعوب والأمم من أجل السيطرة على مقدراتها، وبعملها هذا تخالف ما أراده الله تعالى من غاية خلقه بقوله : ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ))[124]، فلغة السماء تريد العدل والمساواة وعدم التمييز بين الإنسان وأخيه، بينما اللغة الفرعونية لغة التفرقة والتمييز وتسليط البعض على رقاب الغير، وإن فرعون القديم هو أول من خرم وأخل بنظام المواطنة الذي يجب أن يتساوى فيه الجميع بالحقوق والواجبات، وأسَّس ونظَّر لمن يأتي بعده من حكام الجور والظلم، لتعيش الأمة دوماً بين فرعون قائم وفرعون قادم، ومعلوم أن الإخلال بمبدأ المواطنة يؤسس للإستبداد السياسي والديني وغيره.
2. إن الشخصية الفرعونية الماكرة والمخادعة والتي تستفيد من سياسة "فرق تسد" والتي عبر عنها القرآن: (يستضعف طائفة منهم ...) لكي يخادع الشعب بأنَّ هؤلاء المستضعفين هم من يخلّون بأمن الدولة وسلامتها، وهم من يتآمر على هيبتها، فلا بد من مواجهتهم؛ لأنهم يعملون ضد إرادة الشعب وحاكمه، ونلاحظ أن السياسة الفرعونية هذه كيف تستعمل المكر والخداع لإقناع الناس بأن هؤلاء المستضعفين والمعذبين هم من شرذمة المتآمرين لينطلي مكرهه وخداعه على العامة لكي يقفوا إلى جانبه والدفاع عن سياسته ومتبنياته متناسين إذلالهم وآلامهم من قبل فرعون وزبانيته، وبهذا تنطلي ألاعيب فرعون على الشعب

المضطر للوقوف معه، لكي لا يتهم بالخيانة ولكي لا يعرّض نفسه إلى الاعتقال، والإرهاب، والتعذيب، والتجهيل، والتضليل، والتفقير، والإذلال، والتخويف، فكل أساليب الاستضعاف يمارسها فرعون مع طائفة منهم، وفي المقابل يقوي طائفة أخرى، وبهذا الخداع الفرعوني يتحول استضعاف طائفة من الشعب بذبح أبنائهم واستحياء نسائهم إلى استضعاف الشعب كله، وبالتالي يستأثر فرعون ومن معه ومن هو على نهجه بكل مقدرات الأمة، كيف وهو مدعٍ للألوهية والربوبية التي لا تُسأل عما تفعل، وهم يُسألون!!

3. إن كل السياسات الفرعونية الماكرة والمخادعة تستخدم أسلوب (الضد النوعي) حيث يتخذ المتصدي الفرعوني بطانة إلى جانبه، لهم القرب والحبوة والامتيازات، ويربط مصيرهم بمصيره، ولكي يحافظوا على ما هم عليه، لا بد أن يكونوا ظل السلطان، وعينه التي ترقب، ويده التي تبطش، ليكونوا ضد من صنفهم وسخَّرهم فرعون بسياسته التفريقية إذْ استخدم قسماً منهم في البناء والحرث والحفر وامثاله من الأعمال الشاقة، واستخدم آخرين بفرض الجزية عليهم وهم صاغرون، وقام بتوهين طائفة على حساب أخرى، كما فعل بإكرام الأقباط وتوهين بني إسرائيل، وغيرها من أساليب وهذا هو ديدن السياسة الفرعونية في كل زمان ومكان بتصنيف الناس على أساس عرقي أو طائفي أو قومي أو حزبي أو مذهبي وما شاكل ذلك، ورغم هذا الإجراء التعسفي والجائر، تقوم السياسة الفرعونية على مجابهة أي حركة معارضة بقمعها ووأدها في مهدها مستعملاً أسلوبه الماكر وحجته المخادعة : ((إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ))[125].

4. إن الشخصية الفرعونية رغم عدوانيتها وعنفها تلجأ إلى المكر والاحتيال والمخاتلة عندما تشعر بالخطر ولا يمكنها مجابهته بالقوة والعنف، إذْ تقوم بتطوير أساليب الاحتيال وتنويعها، من خلال الصاق التهم المدبرة والجاهزة ضد الاخرين، إذْ تلجأ السياسة الفرعونية إلى التمظهر بلباس الصلاح والتقوى مع بطانتها، لتخفي من وراء خدعها هذه الحقائق وقلب المفاهيم وتسويقها للرأي العام، فنرى مثلاً :

أ. قيام السياسة الفرعونية الماكرة بالتحريض ضد صاحب الحق والدعوة بأنه ساحر عليم، يريد أن يخرجكم من أرض الآباء والأجداد التي نشأتم وترعرعتم فيها، واستمتعتم بخيراتها، فهو رجل يدّعي أنه صاحب حق وحقيقة، وفي حقيقته أنه يرتبط بجهات أجنبية وله توجهات مشبوهة : ((قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ))[126].

وبهذا الأسلوب تخدع الشخصية الفرعونية نفسها وتخادع من حولها من البطانة فضلاً عن الهمج الرعاع لتسويق هذه التهمة، على الرغم من أن جميع هؤلاء يعلمون أن صاحب الحق

والدعوة ليس بساحر، ولكن الشخصية الفرعونية تحاول بمكرها إيهام العامة بهذه التهمة لتحقيق مآربها من أجل الحفاظ على السلطة وامتيازاتها ومكانتها.

ب. إن الشخصية الفرعونية الماكرة لها إعلام موجه، وبطانة، ومستشارون يهيئون الأجواء للتحريض والحشد الجماهيري لتمرير مكائدها وخدعها، لهذا قال الله تعالى عنهم : ((قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى * فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ))[127]، وقال تعالى : ((قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ))[128]، وقال تعالى : ((قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا))[129]، ونلاحظ كيف تدرج الموقف باختلاف الأدوار ووحدة الهدف، إذْ تحدث الآية الأولى عن موقف فرعون، والثانية عن موقف بطانته وقومه، والثالثة موقف السحرة بعد أن تنازعوا أمرهم قبل مواجهة صاحب الحق، مما يدل على أن هناك مخططاً وقد تبانى عليه الجميع لتحديد الموقف، ولا بد للجميع من ممارسة دوره لتحقيق الهدف المنشود بتسويق فكرة أن صاحب الدعوة ساحر، وينبغي أن لا تصدق دعواه.

ج. وتتجلى الشخصية الفرعونية وينكشف مكرها وخداعها عند المنازلة وتبيان الحق والحقيقة مع الشخصية الدعوية الحقة، ورغم ظهور الحق وتجلّي الحقيقة، إلا أن الشخصية الفرعونية لا تقبل بالهزيمة والتنازل، بل تبقى مخادعة لتحويل الهزيمة إلى نصر كما يفعل كل الفراعنة في أي زمان ومكان، بل يصل الأمر بالشخصية الفرعونية هذه إتهام كل من كان معها وآزرها ونصرها ووقف إلى جانبها وصدقها في سلوكها ونهجها، يتهمهم بالتآمر وعدم الإخلاص بعد انكشاف الحقيقة لهم، ويجعلهم بمصاف صاحب دعوة الحق : ((قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَن آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ))[130]، وفي هذه الآية المباركة يعترف فرعون بمكره وخداعه ويقوم بإسقاط هذا المكر الذي كان مبطناً على سحرته الذين استعان بهم وكانوا مؤمنين بإلوهيته من قبل.

د. ولم تكتفِ الشخصية الفرعونية بمحاسبة الذين أهتدوا إلى دعوة صاحب الحق والحقيقة وانكشاف خدع ومكر فرعون، بل تبدأ هذه الشخصية الماكرة بتشويه سمعة من آمن من السحرة والتشكيك بعدم إخلاصهم، بل بتآمرهم المسبق بالتنسيق مع صاحب الدعوة، ولهذا تلجأ الشخصية الفرعونية الماكرة إلى اتباع أسلوب جديد باتهام موسى (عليه السلام) بأنه كبير السحرة وقد قام بتعليم السحر لتلامذته من السحرة الصغار، رغم أن الشخصية الفرعونية تعلم بكذب هذا، ولكنها تغالي وتكابر في خداعها : ((إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ))[131]. فصحاب الدعوة عن لسان الشخصية الفرعونية المخادعة والمختالة هو عظيمكم ورئيسكم في التعليم، وعنه أخذتم السحر، وغلبكم لأنه أحذق به منكم، وعلمكم

شيئاً وأخفى آخر، وبهذه الخديعة والمكابرة التي يعلمها الجميع بأن السحرة جاءوا من مناطق متفرقة، وتعلموا السحر قبل لقياهم لموسى (عليه السلام)، ولكن مع هذا يريد فرعون المكر والخديعة بأن هؤلاء قد تواطؤوا مع موسى وتآمروا معه ضده، لكي لا يعترف بأنهم آمنوا عن وعي وبصر وبصيرة، وهذه خدعة أُخرى من سلسلة الخدع التي يتبعها الفراعنة والتي تلازم شخصياتهم وسلوكهم[132].

وخلاصة القول، أن الشخصية الفرعونية ماكرة، ومخادعة، ومخاتلة، ومراوغة، تقلب الحقائق والمفاهيم، وتوظف كل إمكانات الدولة بما في ذلك أعلامها المسيس، وقوتها العسكرية الرادعة، ومواردها الاقتصادية المقننة لشراء الذمم، وغيرها، لتمرير مخططاتها وخدعها، لكي تنطلي على عوام الناس، وتخلق عندهم عقلاً جمعياً ممانعاً ورافضاً لقبول الحق والحقيقة، موحياً لهم أن الذي يريد أن يصلح أمرهم ويتصدى للمسؤولية هو كاذب وساحر ومخادع ومتآمر، يريد أن يخرجكم من دينكم، ويستولي على أرضكم، وينعم بخيراتكم، ومع هذا وذاك فهو فاسد، ومدع للإصلاح، وغيرها من المفاهيم المقلوبة والمغلوطة، والتي يحسن صناعتها ويجيد تسويقها الجهاز الفرعوني الحاكم وبإشراف الشخصية الفرعونية نفسها.

المبحث الثالث: المجتمع الفرعوني

لا يمكن لباحث عن الظاهرة الفرعونية أن يقتصر بتمام بحثه عن الصفات الفرعونية فقط، بل لابد أن يفرد بحثاً آخر مفصَّلاً عن المجتمع الفرعوني، ولم نستطع التوسعة فيه لمقتضيات ومتطلبات البحث وشروطه، ولكن نقول بنحو مجمل:

1. إنَّ بحثنا أهم الصفات الفرعونية ما كانت لتظهر وتتضخم عند الشخصية الفرعونية لو لم تكن هناك أرضية قابلة ومهيئة لقبول الفرعنة فيها، إن المجتمع الفرعوني الذي يستسلم لقدره، ويرضى بالذل والهوان والاستعباد، ويأنس الاستضعاف، ويرضى بتعطيل طاقاته وقدراته وإمكاناته، ويعطل قواه العقلية، بل سمح لغيره أن يفكر عنه مثل هذا المجتمع سمح بتغول وتضخم الشخصية الفرعونية، قال تعالى: ((مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ))[133].

2. إن المجتمع الذي تسيطر عليه شخصية فرعونية متألهة، وكافرة، ومتكبرة، وفاسدة، وظالمة، وماكرة، ومخادعة، ومفسدة ... لهو مجتمع فاسد وفاسق، مستعد للعبودية والطاعة العمياء، وما كانت شخصية فرعون لتتضخم لولا فساد قومه وفسقهم، إذْ وصفهم القرآن الكريم بالظلم والكفر : ((وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ))[134]، مثل هكذا مجتمع يصدق بأقوال فرعون بإدعائه الإصلاح واتهام غيره بالفساد : ((إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ))[135]، فمثل هكذا مجتمع منقاد لطغيان أسياده ليعبث به وبمقدراته ويستخف بعقله، وأنه الرب الأعلى ولا رب غيره :

((فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ)).[136][137] وهو راضٍ عن تصرفات وممارسات حكامه فهو مجتمع يساعد على تضخم الشخصية الفرعونية.

3. وإذا كان فسق قوم فرعون سبباً في استخفاف فرعون لهم وطاعتهم وانقيادهم الأعمى له، كان فسقهم كذلك هو السبب في بعث موسى (عليه السلام) إليهم بالآيات علَّهم يرجعوا إلى عقولهم وإلى فطرتهم التي لوثها ودنسها فرعون ومن معه، قال تعالى : ((وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ * فَلَمَّا جَاءتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ * وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ)).[138]

4. ولم يتصف المجتمع الفرعوني بالفسق فحسب، بل يضاف له اتصافه بالعلو والظلم والإفساد والإجرام، إذْ إنَّهم قوم اعتادوا على ارتكاب الجرائم والذنوب، يقول تعالى : ((وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ * أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * وَأَنْ لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ * وَإِنْ لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ * فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاء قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ)).[139]

5. والمجتمع الفرعوني الذي تسيطر عليه الألة العسكرية والإعلامية والاقتصادية، ليحكم بالتضليل والتجهيل والتجويع حيناً والترغيب أخرى، والذي ألف سياسة العنف والسجن والنفي والتقتيل، وهو مجتمع مقسم حسب الولاء، ومفرق إلى طبقات وأثنيات وطوائف، وهو مجتمع لا يلتف حول قائده المصلح لنصره ومناصرته، والذي جاء من أجل انقاذه وتحريره من عبوديته وذلته، ومن سيطرة فرعون وبطانته، مجتمع لا يتطلع للتحرر والتغيير هو مجتمع فرعوني يكرس الشخصية الفرعونية ويديم بقاءها واستمرارها، ومثل هكذا مجتمع موجود في كل زمان ومكان، كالشخصية الفرعونية فهي ظاهرة قديمة الحدوث، حديثة البقاء.

6. مثل هكذا مجتمع سوف يكون خاضعاً للسنن الاجتماعية، قال تعالى: ((وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ)).[140] حيث قال الآلوسي في تفسيرها : إن الرعية إذا كانوا ظالمين، سلط الله عليهم ظالماً مثلهم، أي نجعلهم بحيث يتولونهم ويتصرفون فيهم في الدنيا بالإغواء والإضلال وغير ذلك، واستدل به على أن الرعية إذا كانوا ظالمين فالله تعالى يسلط عليهم ظالماً مثلهم، أي نجعلهم بحيث يتولونهم ويتصرفون فيهم في الدنيا بالإغواء والإضلال وغير ذلك، واستدل به على أن الرعيّة إذا كانوا ظالمين فالله تعالى يسلِّط عليهم ظالماً مثلهم، وفي الحديث ((كما تكونوا يول عليكم)) .[141] رغم أنا نتحفظ عن سنده ولكنّا نصدِّق بمضمونه.

وقال صاحب تفسير السمرقندي في تفسيره : (وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً) يعني نسلط بعض كفار الجن على كفار الأنس، ويقال نولي بعض الظالمين على بعض فيهلكه ويذله، وهذا كلام لتهديد الظالم لكي يمتنع من ظلمه؛ لأنه لو لم يمتنع لسلط الله عليه ظالماً آخر،

ويدخل في الآية جميع من يظلم ومن ظلم في رعيته ... وقال ابن عباس : إذا رضي الله من قوم ولّي أمرهم خيارهم وإذا سخط الله على قوم أمرَّهم شرارهم بما كانوا يكسبون ثم تلا قوله : ((وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا))[142].

7. ان اطلاقنا على قوم فرعون بالمجتمع الفرعوني لأنهم ارتضوا سيرته ومسيرته فهم مع فرعون من سنخية واحدة، ولهذا يحاسبهم الله تعالى كحسابه لفرعون، وكان المفروض بهم أن يقوموا بدور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكي يردعوا فرعون وأمثاله، لا أن ينصاعوا له ويقبلوا بعبوديته، والمفروض أن تقوم الرعية بدورها في تصحيح سيرة ومسار الحاكم وأن لا تبرر له مواقفه، ولهذا على الشعوب والأمم ان تحيي فريضة مضيعة وهي أُس الفرائض؛ إذْ لولاها لما بقيت الفرائض الأُخرى، وهي فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فعن علي (عليه السلام)، قال : ((لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليسلِّطن الله عليكم شراركم، ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم))[143].

وفي حديث آخر : لتأمُرُنَّ بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليسلِّطن الله عليكم شراركم، فليسومنكم سوء العذاب، ثم يدعو خياركم، فلا يستجاب لهم) [144].

والملاحظ أن من أحب قوماً يحشر معهم في يوم القيامة، وهذا يشمل قوم فرعون وغيرهم ممن أرتضى سياسة أسياده : عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ((... ولا يحب رجل قوماً إلا حشر معهم))[145].

الخاتمة :

1. عند البحث الإستقرائي لوحظ ورود كلمة فرعون أربع وسبعين مرة، وإن تكريرها ليس صدفة بل لأجل أهميتها لما تحمله من دروس وعبر، واكتشاف سنن اجتماعية وتاريخية لأجل دراستها، باعتبار أن القرآن ليس كتاباً قصصياً، بل هو كتاب هداية وذكر القصة وشخوصها فيه من باب المثال، من هنا تأتي الظاهرة الفرعونية كمفردة قديمة الحدوث، وحديثة البقاء، ولها اقتضاء الاستمرار الزمكاني.
2. عند البحث في الآي القرآني إستنتجت تسعة عنوانات رئيسة من منطوقها، ويمكن استنتاج عناوين ثانوية أخرى من مفهومها، ويستطيع الباحثون توسعتها واكمالها لغرض صياغة نظرية متكاملة الأبعاد عن هذه الظاهرة لتكون منطلقاً للباحثين والمهتمين بالدراسات القرآنية.
3. الشخصية الفرعونية (ميكافيلية)، ومبدئها (الغاية تبرر الوسيلة)، فلأجل أن تصل إلى مرادها ومبتغاها تستغل وتستعمل كل الوسائل من المكر، والتدبير في الخفاء، وبذل الأموال، وشراء الذمم، والتفنن في زهق الأرواح وغيرها .. كما أن الشخصية الفرعونية تجيد لغة التمثيل، وتبرع باختيار العناوين الجذابة لتتمظهر بلباس الدين والوطن والقومية والعلمانية

وغيرها، وتحسن ركوب الأمواج الجماهيرية وقيادتها، وكل أساليب وخدع الشخصية هذه ناجم عن عقدة النقص عندها وخوفها من انكشاف أمرها، لهذا تلجأ إلى الإسراف في أسكات معارضيها وتصفيتهم لكي لا يفتضح أمرها من قبلهم.

4. الشخصية الفرعونية مسكونة بداء العظمة، إذْ تشعر بالفوقية والعلو على من دونها، فهي متألهة في قرارة نفسها، وقد اتخذت هواها إلهاً لها، أظهرت ذلك في مدعاها أو أخفته، وعلى الآخرين عبادتها والتسبيح بذكرها، وعدم مخالفتها ومعارضتها، ويساعدها على ذلك مناخها البيئي الذي نشأت وترعرعت فيه، لما تملكه من ثراء، وملك، وسلطان، ووجاهة دينية أو اجتماعية أو أسرية وغيرها، مما يجعلها شخصية تعيش الخيلاء والوهم والغرور والتحايل، لتتعاظم على الآخرين الذين يعيشون الدونية بنظرها، ولا تكترث بآلامهم وعذاباتهم، ما داموا مخلوقين من أجلها بنظرها.
5. الفرعونية بماضيها وحاضرها قائمة على الاستبداد في الحكم، والتفرد بالسلطة، وغياب أو تغييب الشورى في الحكم، ومصادرة إرادة الشعب لإختيار حاكميه وممثليه بشكل حر وعادل ونزيه، من أجل إحقاق العدل والمساواة والحرية في الأمة والدولة ليعيش الجميع متمتعين بكرامتهم الإنسانية.
6. الفرعونية القديمة والحديثة، تمثل خط المجابهة والمواجهة لخط الرسالات وحاملها، وهما خطان متوازيان ومتضادان ومتعاكسان، بل ومتناقضان لا يلتقيان ويحاول أحدهما إزاحة وإزالة الآخر، إذْ يهدف الخط الفرعوني إلى استعباد الإنسان وفساده وإفساده، بينما يهدف خط الرسالات ومقاصد الشرائع السماوية إلى تحريره من الطغيان والاستبداد والجور والفساد، حتى يكون الناس عباداً لله وحده، وهو الذي له الخلق والأمر، فيمثل الخط الفرعوني نسغاً نازلاً، ينزل بكرامة الإنسان إلى حضيض العبودية والاستعباد، بينما يمثل الخط الرسالي نسغاً صاعداً ليرتقي بالإنسان من ذل العبودية والهوان إلى ذرى العز والمجد والكرامة الإنسانية، فهما خطان متوازيان متعاكسان متصارعان والغلبة والبقاء للأصلح دوماً.
7. الشخصية الفرعونية بماضيها وحاضرها واحدة في طريقة تفكيرها، وتشتركان معاً في الأساليب نظرياً، وتختلفان في التطبيق كمًّا وكيفاً، فإذا كانت الفرعونية القديمة تقتل الذكور وتستحيي النساء للخدمة، فالفرعونية الحديثة تقتلهم جميعاً، بل وتحرق جثثهم، وتبيد حرثهم ونسلهم، وتدخلهم السجون كنماذج لإختبارات أسلحة الدمار الشامل الجرثومية منها والكيميائية وغيرها، وإذا كانت الفرعونية القديمة تمثل استبداد شخص، أو عائلة مع بطانتها وأركان دولتها، فالمعاصرة اليوم تعدت الحدود وعبرت السدود باستبدادها لتشكل دولاً ومحاور تديرها قوى عظمى، من أجل استعباد دول، وشعوب، ونهب خيرات، عبر

حروب مصطنعة وباعذار واهية، مستفيدة ومستغلة آخر ما وصل إليه العقل البشري من تطور تقني ومعلوماتي.

وإذا كانت الفرعونية القديمة قد استعبدت البشر أجساداً، فالفرعونية المعاصرة قد استعبدت عقول أبنائنا، وهذا أعظم استعباد واستبداد واستعمار لبلداننا بمسخ عقول شبابنا، ومصادرة تأريخهم، وإرثهم، وحضارتهم، وأخلاقهم، ودينهم، وطمس هويتهم، وتستخدم كلا الفرعونيتين لغة واحدة، وخطاب واحد وهو : (مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى) [146].

8. دراسة هذه الظاهرة ليست للترف الفكري، بل لاستلهام الدروس والعبر، لكي يعتبر ويتعرف الأفراد والشعوب والأمم والدول على خطورتها وتداعياتها، وعلينا أن نبث وعي المقاومة والممانعة للحؤول من دون انتشار وتمكن الظاهرة الفرعونية هذه، وعلينا دراستها ووضع الحلول الناجعة لمجابتها، سواء أكانت هذه الظاهرة تبدا من الفرد، أم الأسرة، أم العشيرة، أم الأُسر العلمية والدينية، وصولاً إلى فرعونية الحاكم والدولة والدول، وهذا يحتاج إلى فهم معرفي وتخطيط مؤسساتي وتوعية شاملة يشترك فيها الجميع بما في ذلك رياض الأطفال صعوداً إلى المرجعيات الدينية ومؤسسات الدولة.

9. وتأسيساً على ما ذكر، علينا أن نثبَّت حقيقة رغم ضعفنا وقلة إمكاناتنا وهي : أن الفرعونية كظاهرة، مهما طالت واستطالت، واستبدت وتفرعنت، فهي ظاهرة طارئة في حياة الشعوب والأمم، وسينتهي أمرها، وتستأصل شأفتها، وتدمر فلولها، ويخيب سعي فراعنتها، وسيردون على أعقابهم خاسرين خاسئين، وهذه سنة الله في خلقه، لأنهم استكبروا وكانوا مجرمين، ولأنهم طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد، وسوف يأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، وهذه سنته مع الظالمين المستبدين، والمتكبرين المتجبرين، ولن تجد لسنة الله تبديلاً ولا تحويلاً، ولن يخلف الله وعده بنصره لجنده المستضعفين، وعلى الشعوب أن تتحلى بالوعي واليقظة والمعرفة لكي تقاوم الظواهر الفرعونية، وتتصدى لفراعنتها بكل عزم وإرادة وإصرار، وهي تنشد الحرية والنزاهة، والإنصاف، والعدل، وتتمسك بالكرامة والعزة، وتعتصم بحبل الله تعالى، والتمسك بعروته الوثقى، ومن كان الله معه، فلا فرعون يقف أمامه، والعاقبة للمتقين، ((وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ)) [147].

الهوامش و المصادر

---

(1) كتاب العين، أبو عبد الرحمن، الخليل بن احمد الفراهيدي، (100–175هـ)، تحقيق : مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (5 أجزاء)، 38/4 (مادة : ظهر).

(2) ينظر : موقع حياتك hyatoky .

(3) مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت:666هـ)، المحقق : يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت– صيدا، ط5، 1420هـ–1999م، 238/1 (مادة : فرعن)؛ لسان العرب، جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الانصاري الأفريقي المصري (ت:711هـ)، تحقيق : د.أحمد سالم الكيلاني، د. حسن عادل النعيمي، مركز الشرق الأوسط الثقافي، ط1، 1432هـ–2011م، بيروت. 285/15–286 (مادة : فرعن).

(4) المجتمع الفرعوني، (محاضرات ألقاها سماحة السيد محمد باقر الصدر –قدس–)، إعداد : محمد علي أمين، مكتبة دار المجتبى، العراق–النجف، ط1، 1424هـ، ص44.

(5) سورة القصص، الآية 5–6.

(6) موسوعة السياسية، عبد الوهاب الكيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (6 أجزاء)، بيروت، ط1، 1983م، 482/4.

(7) سورة آل عمران، الآية : 19 .

(8) سورة آل عمران، الآية : 85 .

(9) سورة القصص، الآية : 5–6.

(10) سورة الإسراء، الآية : 4 .

(11) كتاب العين، الفراهيدي 245/2 ، (مادة : علو) ؛ لسان العرب، ابن منظور، (وعلا في الأرض تكبر فيها)، 85/15 (مادة علا) .

(12) سورة يونس، الآية : 83.

(13) سورة القصص، الآية : 4 .

(14) سورة الدخان، الآية : 30–31.

[15] ينظر : الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج، القرطبي، (ت:671هـ)، تحقيق : أحمد عبد العليم البردوني ، دار الشعب، القاهرة، (20 جزءاً)، ط2، 1372هـ، 370/8، 248/13 ؛ وينظر : تفسير الجلالين، أبو الفضل محمد بن أحمد جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن الكمال السيوطي، (ت:911هـ)، دار الحديث، القاهرة، ط1. دار الحديث، 279/1.

[16] سورة العلق، الآية : 6-7.

[17] سورة النازعات، الآية : 23-24 .

[18] سورة الدخان، الآية : 19 .

[19] سورة سبأ ، الآية : 13 .

[20] سورة يونس، الآية : 83 .

[21] سورة القصص، الآية : 38 .

[22] سورة الجاثية، الآية : 23 .

[23] ينظر : مختار الصحاح، 265/1. (مادة : كبر)

[24] ينظر : لسان العرب، 129/5. (مادة : كبر)

[25] لسان العرب، 126/5. (مادة : كبر)

[26] تفسير ابن فورك، محمد بن الحسن بن فورك الانصاري الأصبهاني (ت:406هـ)، دراسة وتحقيق : علاء عبد القادر بندويش (ماجستير)، عدد الأجزاء / 1، جامعة أم القرى، السعودية، 149/2.

[27] سورة القصص، الآية : 39 .

[28] سورة يونس، الآية : 79 .

[29] سورة الأنعام، الآية : 55 .

[30] سورة المؤمنون، الآية : 45-48.

[31] سورة الزخرف، الآية : 30-31.

[32] سورة هود، الآية : 27 .

(33) تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت:150هـ)، تحقيق : عبد الله محمود شحاتة، دار إحياء التراث، بيروت، ط1، 1423هـ، 278/2؛ ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت:310هـ)، تحقيق : احمد محمود شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ-2000م، (عدد الأجزاء : 24)، 295/15.

(34) سورة طه، الآية : 65 .

(35) سورة الشعراء، الآية : 45 .

(36) سورة الشعراء، الآية : 46-48.

(37) تفسير الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت:310هـ)، تحقيق : الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1422هـ-2001م، (عدد الأجزاء : 26)، 361/10؛ يُنظر : المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت:542هـ)، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ، 440/2.

(38) التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، (ت:606هـ)، دار أحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ، 334/14.

(39) سورة الشعراء، الآية : 49 .

(40) سورة طه، الآية : 71 .

(41) سورة غافر، الآية : 51 .

(42) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت:261هـ)، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، دار أحياء التراث العربي، بيروت، عدد الأجزاء : 5، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر، 93/1 رقم 91 .

(43) صحيح مسلم بشرح النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي (ت:676هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1392هـ، (عدد الجزاء : 18)، 90/2.

(44) سورة النازعات، الآية : 23-24 .

(45) سورة القصص، الآية : 38.

(46) سورة غافر، الآية : 29 .

(47) سورة النساء، الآية : 60 .

(48) كتاب العين، الفراهيدي ، 435/4 (مادة : طغو).

(49) جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، (ت:321هـ)، المحقق : رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987م، (عدد الأجزاء : 3)، 919/2.

(50) سورة طه، الآية : 56 .

(51) سورة طه، الآية : 24 .

(52) سورة طه، الآية : 43-45.

(53) سورة طه، الآية : 71 .

(54) تفسير الطبري، 115/16؛ الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآني وتفسيره وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت:437هـ)، تحقيق : مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، باشراف، أ.د. الشاهد البوشيخي، الناشر : مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة الإسلامية، جامعة الشارقة، ط1، 1429هـ-2008م، (عدد الأجزاء : 13)، 365/1.

(55) ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (ت:310هـ)، 338/18.

(56) سورة العلق، الآية : 6-7.

(57) سورة الزخرف، الآية : 51 .

(58) غريب الحديث، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت:276هـ)، المحقق : د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ط1، 1397هـ، (عدد الأجزاء : 3)، 484/1.

(59) جمهرة اللغة، 934/2 .

(60) كتاب العين، الفراهيدي، 176/6 .

(61) سورة الأعراف، الآية : 103.

(62) سورة الشعراء، الآية : 10-11.

(63) سورة النمل، الآية : 13-14.

(64) ينظر : تفسير الطبري،13/9؛ تفسير البغوي، 185/2؛ تفسير القرطبي، 256/7.

(65) ينظر : فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت:1250هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1414هـ، 256/2.

(66) سورة الأنعام، الآية : 33 .

(67) سورة الإبراهيم، الآية : 42-43.

(68) سورة طه، الآية : 71 .

(69) سورة غافر، الآية : 25 .

(70) فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، (ت:1031هـ)، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط1، 1356هـ، (عدد الأجزاء : 6)، 143/4.

(71) كتاب العين،الفراهيدي ، 231/7. (مادة : فسد)

(72) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، (ت:370هـ)، أبو منصور، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م، 142/4.

(73) لسان العرب، ابن منظور، 335/3، (مادة : فسد).

(74) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي، (ت:1094هـ)، المحقق : عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، (عدد الأجزاء : 1)، 154/1.

(75) ينظر : تفسير القرطبي، 506/1، وتفسير ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي، ابن كثير، (ت: 774 هـ)، (4 أجزاء)، دار الفكر، بيروت، ط1401هـ، 509/4.

(76) سورة النمل، الآية : 14 .

(77) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، طبعة 1388هـ–1967م، (8 أجزاء)، 596/3–597.

(78) سورة القصص، الآية : 4 .

(79) سورة الأعراف، الآية : 123–124.

(80) سورة البقرة، الآية : 11–12.

(81) سورة غافر، الآية : 29 .

(82) سورة الزخرف، الآية : 54 .

(83) الفائق في غريب الحديث والأثر، أبو القاسم محمود بن عمرو بن احمد الزمخشري جار الله، (ت:538هـ)، المحقق : علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان، ط2، (عدد الأجزاء : 4)، 123/4.

(84) فضائل الصحابة، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني(ت:241هـ)، المحقق: د. وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1،1403هـ–1983م، فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل، باب: من فضائل عمر بن الخطاب من حديث أبي بكر،362/1،ح : 531 .

(85) النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، (ت:606هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، ط1399هـ–1979م، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي – محمود محمد الطناحي، (عدد الأجزاء : 5)، 105/1.

(86) لسان العرب، 81/3 . (مادة : بدد)

(87) معجم لغة الفقهاء، محمد رواسي قلعجي – حامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1408هـ–1988م، 57/1.

(88) سورة الأعراف، الآية : 123 .

(89) ينظر : جامع البيان للطبري، 33/13.

(90) سورة الشعراء، الآية : 49، سورة طه، الآية : 71.

(91) سورة الشعراء، الآية : 29 .

(92) ينظر: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي (ت:333هـ)، المحقق : د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، 1426هـ–2005م، (عدد الأجزاء : 10)، 56/8؛ ينظر : تفسير الثعلبي (الكشف والبيان عن تفسير القرآن)، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت:427هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق : نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، ط1، 1422هـ–2002م، (عدد الأجزاء : 10)، 162/7.

(93) سورة الزخرف، الآية : 51 .

(94) سورة يونس، الآية : 83 .

(95) سورة غافر، الآية : 28 .

(96) تفسير الطبري، 57/24.

(97) سورة يونس، الآية : 87 .

(98) ينظر: الفساد السياسي في المجتمعات العربية الإسلامية، محمد الغزالي، دار نهضة مصر، مصر، ط2، 2000م، 56–57.

(99) المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيدة المرسي (ت:458هـ)، المحقق : عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ–2000م، (عدد الأجزاء : 11)، 444/4 ، (مادة : وهم) ؛ لسان العرب ، 643/12 ، (مادة : وهم).

(100) سورة لقمان، الآية : 32 .

(101) تهذيب اللغة، 19/8 . (مادة : غرر)

(102) التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي، ثم المناوي القاهري، (ت:1031هـ)، عالم الكتب 38، عبد الخالق ثروت، القاهرة، ط1، 1410هـ–1990م، (عدد الأجزاء : 1)، 251/1.

[103] سورة الانعام، الآية : 98.

[104] سورة الأعراف، الآية : 255 .

[105] ينظر : تفسير الطبري، 23/9؛ وتفسير القرطبي، 224/11.

[106] سورة التحريم، الآية : 11 .

[107] سورة غافر، الآية : 29 .

[108] سورة طه، الآية : 39.

[109] كتاب العين، 244/7.

[110] مجمل اللغة لابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (ت:395هـ)، تحقيق : زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1406هـ-1986م، (عدد الأجزاء : 2)، 493/1.

[111] لسان العرب، 148/19 .

[112] سورة الإسراء، الآية : 29 .

[113] كتاب العين، 183/8؛ تهذيب اللغة للهروي، 308/14 .

[114] معجم الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، (ت:395هـ)، المحقق : الشيخ بيت الله بيات، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، (قم)، ط1، 1412هـ، (عدد الأجزاء : 1)، 114/1.

[115] ينظر : مختار الصحاح، 165 (مادة طغى) ؛ لسان العرب، 7/15-10 (مادة طغى).

[116] سورة يونس، الآية : 83 .

[117] سورة غافر، الآية : 43 .

[118] سورة الدخان، الآية : 30-31.

[119] سورة الشعراء، الآية : 151-152.

[120] كتاب العين، الفراهيدي، 370/5.

[121] كتاب التعريفات : علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت:816هـ)، المحقق : جماعة من العلماء باشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، 1403هـ–1983م، (عدد الأجزاء : 1)، 189/1.

[122] المصدر السابق، 227/1.

[123] سورة القصص، الآية : 4 .

[124] سورة الحجرات، الآية : 13 .

[125] سورة غافر، الآية : 26 .

[126] سورة الشعراء، الآية : 35 .

[127] سورة طه، الآية : 57–58.

[128] سورة الأعراف، الآية : 109–110.

[129] سورة طه، الآية : 62 .

[130] سورة الأعراف، الآية: 123.

[131] سورة الشعراء، الآية: 49 .

[132] ينظر: تفسير القرطبي، 224/11؛ وتفسير ابن كثير، 159/3 و366؛ تفسير البيضاوي، البيضاوي (ت:791)، تحقيق: عبد القادر عرفات العشا حسونة، دار الفكر، بيروت، (5 أجزاء)، 1416هـ–1996م، 238/4؛ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد أبو السعود العمادي (ت:951هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (9 أجزاء)، 243/6؛ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، محمود شكري بن عبد الله بن شهاب الدين، أبو المعالي الألوسي (ت:1342هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (30 جزءاً)، 79/19.

[133] سورة غافر، الآية : 29.

[134] سورة الشعراء، الآية : 11.

[135] سورة غافر، الآية : 26 .

[136] سورة الزخرف، الآية : 54 .

[137] ينظر : تفسير البيضاوي : 149/5، تفسير أبي السعود، 50/8.

[138] سورة النمل، الآية : 12-14.

[139] سورة الدخان، الآية : 17-22.

[140] سورة الأنعام، الآية : 129 .

[141] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي (ت:1270هـ)، المحقق : علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ، (عدد الأجزاء : 16)، 272/4.

[142] بحر العلوم (تفسير السمرقندي)، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، (ت:373هـ)، تحقيق : د. محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، (جزء : 1)، 501/1.

[143] بغية الباحث عن زوائد الحارث، أبو محمد الحارث بن محمد بن داهر التميمي البغدادي الخصيب المعروف بأبن أبي أسامة، (ت:282هـ)، المحقق : د. حسين أحمد صالح الباكري، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة، ط1، 1413هـ-1992م، (عدد الأجزاء : 2)، 767/2، ح:767.

[144] الخميسية للشجري، يحيى بن الحسين بن إسماعيل بن زيد الحسني الجرجاني، (ت:499هـ)، تحقيق : محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1422هـ-2001م، (عدد الجزاء : 2)، 356/2، ح : 2739.

[145] المعجم الوسيط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت:360هـ)، دار الحرمين – القاهرة، 293/6، ح:6450؛ المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت:405هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ-1990م، (عدد الأجزاء : 4)، 18/3، ح:4294.

[146] سورة غافر، الآية 29.

[147] سورة القصص، الآية : 5-6.

Pharos Phenomena.....Quran Vision

Dr. Hameed Ali Radhy Al-Dahlaky
University of Imam Alsadiq /College of Arts
aldahlakih@gmali.com

Keyword: Pharaohs ,Highness ,Tyranny ,injustice ,Corruption ,Dictatorship .

Summary:

This study includes the examination of Quran verses to extract nine main titles from its texts about the characteristics that distinguishes the Pharos. There are other titles can be extracted from the concepts of these verses by which these titles form knowledge order to formulate for Pharos phenomena according to Quran vision for the features , reasons and the ways to confront it .

Also the study is concerned in studying the Pharos phenomena as it is not a name of certain man lived in ancient Egypt but it is a nickname for number of kings who ruled this country and the region around it that the authority of these rulers proud .This feature becomes a nickname for all rulers who does not rule by what Allah reveal Allah and feel proud on the call for faith as this character has a Narcissism behavior mind that has a potential of tyranny gens .It transform from the power to act when the condition are suitable for it .It becomes older at old age and becomes larger when its interests, desires and trends increases in obsession of the life requirements ,which the authority is the most important and seeks by all methods to keep its gains .

These Pharos phenomena characteristics are general and not limited in one person , family , group and party but it becomes comprehensive for includes country , countries and axis to form a new contemporary Pharaoh shares with old Pharaoh its mind in theory and different with it in application in quality and quantity by has a modern

technology and huge information treasure and mass destruction weapons ,It is not like ancient Pharaohs that enslave the people in body but to enslave them and colonize people from one side and confiscate their history , civilization and their identity from another side .

This this study is considered as a start point to make plans and methods to resist the modern Pharaohs and reduce its expansion ,domination and authority .Allah informs and promises us with victory and inheritance Allah land for the man of justice to become the successor in earth and to reflect Allah well against the contemporary Pharaoh and tyrants of his age .From this point comes the study of Pharos phenomena as Quran vision that read Quran to study the past , diagnose the present time problems and predict the future .